

الهمسُ في الشعر السعودي المعاصر

المقدمة :

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأصلي، وأسلم على خاتم رسله محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فقد اتّسم الشعر السعودي الحديث عامة وشعر المجددين أو الابتداعيين منهم خاصة بسمات وخصائص فنية؛ وذلك بسبب ما توافر له من أسباب وعوامل مختلفة أسهمت في تطوره وازدهاره ورُقيّه. كما أسهمت هذه العوامل والأسباب في بروز بعض الظواهر الفنية سواء منها ما يتعلق بالمضمون، أو ما يتعلق بالشكل.

وكان من بين تلك الظواهر "ظاهرة الهمس" تلك الظاهرة التي اصطبغ بها جزء من الشعر السعودي، كما اصطبغ بها غيره من شعر بعض الشعراء في الأقطار الأخرى.

ونظراً لأهمية هذا الموضوع من جهة، وأثره الفني في الإبداع الشعري من جهة أخرى، فقد آثرت أن تكون دراسته والكشف عن

الدكتور:

عبدالرحمن

ابن عثمان

الهليل*

* ليسانس في علوم اللغة العربية وأدائها من جامعة الإمام محمد - كلية اللغة العربية بالرياض ١٤٠١هـ.

- ماجستير من الكلية والجامعة نفسها عام ١٤٠٧هـ.

- دكتوراه مع مرتبة الشرف الأولى من الكلية والجامعة نفسها عام ١٤١٢هـ.

- يعمل الآن أستاذاً مشاركاً في قسم الأدب بكلية اللغة العربية بالرياض.

الطبعة

السنة الثامنة

العددان : الثلاثون والحادي والثلاثون

جمادى الآخرة - رمضان ١٤٢٦هـ

يوليو - أكتوبر ٢٠٠٥م

أسبابه ومظاهره في الشعر السعودي هو موضوع هذه الدراسة التي أعدها خدمة لأدب هذه البلاد التي أنتمي إليها.

وتتألف هذه الدراسة من مقدمة، وثلاثة مباحث كما سرت فيها على منهج

نقدي يقوم على :

- اعتماد المنهج الفني مع الإفادة من المناهج الأخرى في الدراسة ؛ حيث إن طبيعة الموضوع تفرض ذلك.

- التعريف بالشعراء الذين ورد ذكرهم في البحث ؛ لمعرفة مكانهم في المرحلة الزمنية التي تشملها الدراسة.

- تفسير الغريب، وكان مردّ الغرابة عندي مستوى القارئ المتوسط.

- ضبط الأشعار وكذا ما يُشكل عند القراءة بالشكل.

هذا بالإضافة إلى ما يقتضيه المنهج العلمي من القواعد والأسس التي تجب

مراعاتها في البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

توطئة :

الهمس هو ضد الجهر، وهو سمة فنية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالشكل الخارجي

للنص، كما ترتبط بالمضمون الداخلي له أيضاً.

وينبعث الهمس أساساً من بواعث متعددة، ومصادر مختلفة يأتي في مقدمتها :

الأصوات المعروفة باسم "الأصوات المهموسة" وهي المجموعة في قولهم "سكت فحته شخص".

كما ينبعث مما يتوافر في النص الأدبي من إيقاع سواء كان خارجياً مبعثه

الوزن والقافية، أو داخلياً منشؤه ما في النص من تنوين، أو حروف مدّ، أو حسن

تقسيم، أو تصوير، أو إحياء ونحو ذلك.

كما يسهم الموضوع والموقف الشعريان وما يشتملان عليه من عاطفة في إضفاء سمة الهمس على الإبداع.

وهذا كله قد سبق لي وأن درسته دراسة متأنية في بحثي الموسوم بـ "الهمس في الشعر الحديث (في المهجر ومصر والشام والعراق)"^(١) ، فليس لي من نية في الوقوف عنده هنا تحاشياً للتكرار.

وإنما ستكون عنايتي هنا بدراسة شيوع ظاهرة الهمس، والبواعث عليه ومظاهره فقط في الشعر السعودي.

المبحث الأول : شيوع الظاهرة :

الشعر السعودي جزء من الشعر العربي، بل العالمي، والشعراء السعوديون بعض من شعراء العالم، فطبعي أن يؤثروا ويتأثروا، ويستوردوا قيماً فنية صالحة، ويصدروا أخرى، وتلكم ظاهرة صحية تدل على نمو ذلك الأدب وعالميته وإنسانيته، وترقيته في مدارج الكمال شريطة أن يُحسن الشعراء الأخذ والاقتباس والتأثر.

وليس الأمر موقوفاً عند حدود التأثر بالآداب الأخرى فحسب، بل إن هناك من العوامل والأسباب ما جعل الشعر السعودي يتسم ببعض السمات التعبيرية والمضمونية، وكذا بعض القيم الجمالية ؛ مما أعلى من شأنه، وسما بوظيفته، وعمّق حضوره على الساحة الأدبية داخل المملكة العربية السعودية، وخارجها.

وقد وجدت فيما وجدت من الطواهر الفنية في الشعر السعودي -الظاهرة المعروفة باسم "الهمس"، تلك الظاهرة التي اتّسم بها جزء مهم منه، بفعل بعض العوامل والبواعث عليها.

وقبل البدء في كشف اللثام عن البواعث على "الهمس" في الشعر السعودي

(١) هذا البحث في انتظار النشر على صفحات مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

يجدر بي التتبع والاستقصاء لما جادت به قرائح الشعراء السعوديين ؛ لاستيضاح المستوى الذي بلغته هذه الظاهرة فيما أبدعوه .

والحق أنه بأدنى نظر وبأقل قراءة في ديوان الشعر السعودي يتبين ضخامة القدر من هذا الشعر المهموس الذي نحن بصدد الحديث عنه .

وعلى الرغم من شيوع ظاهرة الهمس في الشعر السعودي، فإن ما نؤكد أنه هو أن هذه الظاهرة تكثر في أشعار المجددين خاصة أكثر منها في أشعار غيرهم، ولا يعني هذا أن "الأسلوب المهموس صفة عامة في المجددين، بل ظاهرة لا توجد إلا عند شعراء محددين... (١) " .

ومن أشهر الشعراء السعوديين الذين برز الهمس في شعرهم بوضوح العواد (٢)، وأحمد قنديل (٣)، وحسين سرحان (٤)، وظاهر زمخشري (٥)، وحسن عبد الله

(١) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية : ١١٧ .

(٢) (١٣٢٠هـ - ١٤٠٠هـ) . ولد في جدة، وتلقى تعليمه في الكتاتيب، ثم التحق بمدرسة الفلاح في جدة وحصل على شهادتها الثانوية، عمل بالمدرسة نفسها مدرسا، ثم تنقل في عدد من الوظائف الحكومية، كما عمل في عدد من الصحف والمجلات، وهو شاعر كاتب رائد من رواد الحركة العلمية والأدبية في المملكة العربية السعودية. انظر : معجم الأدباء والكتاب : ٢٥٥/١ - ٢٥٧ .

(٣) (١٣٢٩هـ - ١٣٩٩هـ) . ولد في جدة، وتلقى علومه في مدارس الفلاح، وعمل بها، ثم عمل في الصحافة، وفي وظائف حكومية أخرى حتى تقاعد واشتغل بالأعمال الحرة. له نتاج شعري جيد كثير . انظر : معجم الأدباء والكتاب : ٢٩٩ / ١ - ٣٠٠ .

(٤) (١٣٣٢هـ - ١٤١٣هـ) . ولد في مكة المكرمة، وتلقى علومه بمدرسة الفلاح. له نتاج أدبي رائد. انظر : دليل الكاتبات السعوديات - ط ١ - الرياض : الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص : ٦١ .

(٥) (١٣٣٢هـ - ١٤٠٧هـ) . وُلِد في مكة المكرمة، وتلقى تعليمه بها، وفيها وفي الرياض عمل موظفاً حكومياً، وكان عمله في الإذاعة في بدايتها من أهم أعماله، كاتب قاص شاعر. له العديد من الدواوين الشعرية، ولمكانته الأدبية نال جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام : ١٤٠٥هـ . انظر : معجم الأدباء والكتاب : ١٤٠ ، ١٤١ ، الإثنيية : ٤١/١ .

القرشي^(١)، ومحمد العيد الخطراوي^(٢)، ومحمد هاشم رشيد^(٣)، وعبد الله الفيصل^(٤)، وغازي القصيبي^(٥). وسعد البواردي^(٦)، ومقبل العيسى^(٧)، ومحمد عامر

(١) (١٩٣٠م - ٢٠٠٤م). ولد في مكة المكرمة. وتلقى تعليمه الأولي بها، وحصل على الشهادة الجامعية من جامعة الملك سعود بالرياض، تنقل في عدد من الوظائف الحكومية كان من آخرها العمل سفيراً في السودان، ثم في موريتانيا. له عدد من الدواوين الشعرية، وبعض الكتب، كما أن له عدداً من المشاركات الأدبية في الندوات والمؤتمرات، وهو عضو في بعض مجامع اللغة العربية. انظر: معجم الأدباء والكتاب: ٢٩٢/١-٢٩٤، دليل الكتاب والكاتبات: ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) (١٣٥٥هـ - ...). ولد في المدينة المنورة، ونشأ بها، وحصل على ليسانس الشريعة من الجامعة الزيتونية، وليسانس اللغة العربية من كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وبكالوريوس تاريخ من جامعة الرياض (الملك سعود حالياً)، كما حصل على الماجستير والدكتوراه في الأدب والنقد. له بعض الدواوين الشعرية والدراسات النقدية وغيرها. انظر: دليل الكتاب والكاتبات، إعداد: خالد بن أحمد اليوسف، الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون - ط ٣، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ص ٩٥٢.

(٣) (١٣٤٩هـ - ١٤٢٣هـ). ولد في المدينة المنورة، وبها تلقى تعليمه الأولي، حصل على دبلوم عالٍ من كلية الصحافة بالقاهرة، ثم عمل في عدد من الوظائف. له عدد من الدواوين الشعرية، وله مشاركات في كثير من المناسبات الثقافية والأدبية. انظر: دليل الكتاب والكاتبات: ١٢١، ١٢٢.

(٤) (١٣٤١هـ - ...). عبد الله الفيصل بن عبد العزيز آل سعود. أديب شاعر. تربى في ظل جده الملك عبد العزيز ووالده فيصل (رحمهما الله) وتولى في عهديهما بعض المناصب العليا، ثم أثر ترك العمل الرسمي؛ ليتفرغ للقراءة والاطلاع والعمل الحر. له بعض الدواوين الشعرية المنشورة. انظر: دليل الكتاب والكاتبات: ١٤١.

(٥) (١٣٥٩هـ - ...). غازي بن عبد الرحمن القصيبي. وُلد في الأحساء، وتلقى تعليمه الأولي في البحرين، والجامعي في مصر، ونال درجة الماجستير في العلاقات الدولية من جامعة جنوب كاليفورنيا، والدكتوراه في التخصص ذاته من جامعة لندن، تنقل بين كثير من الوظائف الحكومية العليا، وله كثير من الدواوين الشعرية، والمقالات، والروايات. انظر: دليل الكتاب والكاتبات: ٢٢٩.

(٦) (١٣٤٩هـ - ...). سعد بن عبد الرحمن البواردي. وُلد في شقراء. تلقى جزءاً من تعليمه في دار التوحيد، وعمل في بعض الوظائف الحكومية كان منها العمل مستشاراً إعلامياً في المكتب التعليمي السعودي في القاهرة. له بعض المقالات، والقصص، وله مجموعة من الدواوين الشعرية. انظر: دليل الكتاب والكاتبات: ٥٤، ٥٥.

(٧) (١٣٤٩هـ - ...). وُلد في المدينة المنورة، وفيها بدأ تعليمه، وواصل تعلمه في الطائف ومكة. ==

الرميح^(١)، وناصر أبو حيمد^(٢) وغيرهم، رحم الله الأموات منهم، وأحسن الختام لي وللباقين.

وتفاوتت درجة "الهمس" عند هؤلاء الشعراء الذين ذكرتهم وعند غيرهم ممن لم أذكرهم ؛ وذلك حسب الموضوع الشعري، وكذا ما توافر لكل منهم من ثقافة وبيئة، وعوامل نفسية واجتماعية ووجدانية، لها تأثيرها البالغ في وجود الظاهرة.

فيكثر الهمس في شعر أبو حيمد، ولكن ذلك ليس كما يقال "لأنه يجمع أشياء جديدة من الثقافة والطباع..."^(٣)، بل إن الهمس في شعره راجع في نظري إلى ما توافر لديه من العوامل والبواعث على الهمس التي سيرد ذكرها في البحث الآتي، بالإضافة إلى إثارة النظم على البحور القصيرة، والأعاريض المجزوءة، وطبيعة المضمون الشعري الذي ينظم فيه.

== ونال الجامعة في الحقوق من جامعة الأزهر . عمل في عدة وظائف إلى أن شغل وظيفة وزير مفوض بوزارة الخارجية، كما عمل سفيراً في كل من بيروت وسويسرا والكويت وأنقرة . له بعض الدراسات والدواوين الشعرية . انظر: دليل الكتاب والكاتبات: ٢٠٧، معجم الأدباء والكتاب : ٢٦٣، ٢٦٤، شعراء من القصيم : ٤١ .

(١) (١٣٤٨هـ - ١٣٩٨هـ) . من مدينة الرس بالقصيم . ولد بالمدينة المنورة حيث كانت تقيم أسرته، وتخرج في القسم العالي في دار العلوم الشرعية بالمدينة سنة ١٣٦٧هـ، ثم اشتغل بالأعمال الحرة حتى عام ١٣٧٧هـ، بعدها عمل في عدد من الوظائف الحكومية . له ديوان شعر، ومجموعة قصصية، وغيرها . انظر : شعراء نجد المعاصرون : دراسة ومختارات ، تأليف : عبد الله بن إدريس - ط ٢ - الرياض : النادي الأدبي ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، ص ١٤٥ فما بعدها .

(٢) (١٩٥٧م - ...) . ولد في جنوب المملكة العربية السعودية، وهو حاصل على بكالوريوس في الإدارة العامة والاقتصاد . عمل في حقل التعليم، ثم عمل محرراً في بعض الصحف المحلية . له بعض الأعمال الشعرية والقصصية والصحفية المنشورة . انظر : معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين - ط ١ - الكويت : مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، ١٩٩٥م ، ٣/ ٣١٨ .

(٣) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية : ١١٩ .

وقد أسهمت هذه الأسباب مجتمعة أو متفرقة في طبع أكثر شعره بطابع "الهمس" حتى أصبحت سمة غالبية عليه" وربما كان ميله إلى الهمس والهدوء هو مما أوقعه في أحابيل الشعر المنثور، الذي يستحيل فيه الهدوء والهمس إلى نثرية ميّنة^(١). وكذا القنديل، والفقي^(٢)، والبواردي، فهؤلاء "من الشعراء الميَّالين إلى الهمس، ويبقى همسهم لا يشكّل صبغة مذهبيّة لكنه موجود بوضوح خاصة عند القنديل"^(٣). أما القصيبي فإن الهمس عنده يجيء "قوياً حتى يكاد يصبح عنده ظاهرة إن لم تكن غالبية فهي كثيرة"^(٤).

ويقوى الهمس في شعر القصيبي خاصة بفعل عوامل وأسباب من بينها سيطرة النزعة الرومانسية على أكثر شعره .. تلك النزعة التي حملته على أن "يحيل حنينه آهة طويلة كأنها الأبد، تتصاعد إلى أن تلتقي بأهاته الأخرى، وهي في نفس الوقت لا تُقرّر بطريقة مباشرة"^(٥). كما يشيع الهمس في شعر الفقي، وخاصة في ديوانه "أطياف من الماضي" حيث إن شعره فيه "هادئ كأنسام العشيات، لا ضجة فيه، ولا صخب"^(٦).

(١) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية : ١١٩.

(٢) محمد حسن الفقي (١٣٣٢هـ - ١٤٢٥هـ) . ولد في مكة المكرمة. وتلقى تعليمه في مدرسة الفلاح في جدة، وعمل مدرساً فيها بعد تخرجه، وعمل رئيس تحرير جريدة صوت الحجاز، كما عمل في بعض الوظائف الحكومية الأخرى، له ديوان شعر كبير، إلى جانب بعض المؤلفات. انظر : معجم الأدباء والكتاب : ١ / ٢٧٨، ٢٧٩، دليل الكتاب والكتابات : ٢١٧.

(٣) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية : ١١٨.

(٤) السابق : ١١٨.

(٥) تطوّر الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج . د. ماهر حسن فهمي - ط ١ - بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ١٦٤.

(٦) شمعة على الدرب. د. عارف قياصة - جدة: نادي جدة الأدبي - مطابع دار البلاد، ١٤٠١هـ.

كما يكثر الهمس في شعر محمد الخطراوي، وهمسه يأتي ممزوجاً بأحاسيسه ومشاعره الرومانسية الحاملة، ومنها حنينه إلى مناسبات ومواقف ذات ذكريات جميلة لها صداها في نفسه.

وليست ظاهرة "الهمس" وقفاً على مَنْ ذكرت فقط، بل تكاد تكون قاسماً مشتركاً بين كل الشعراء، وخاصة أولئك الذين كان اتصالهم بالأدب الأخرى أكثر من غيرهم، وتأثروا بنزعات أصحابها الرومانسية أو الرمزية ونحوهما، وهؤلاء هم ممّن يغلب عليهم وصف "المجدّدين".

"وشعراء الغزل جملة تتقارب مفرداتهم وتراكيبهم ؛ لأنهم يغرفون من معين واحد، وتتدافع تأوهاتهم في مصب واحد، وهذا التشابه يهون معه استخلاص القاسم المشترك بينهم في هذا الغرض بالذات، وقد يتفاوتون فيما سوى ذلك"^(١). ولنقف على بعض الأمثلة من الشعر السعودي المهموس ليتضح لنا ما أذهب إليه في هذا الموضوع.

فمن النماذج قصيدة "معزف الحاني" للشاعر طاهر زمخشري التي يقول فيها^(٢):

الهوى طاب لي بدنيا الأمانى	كيف لا يسكبُ الفؤادُ الأغاني
خفقاتي تدفُ بالغنوةِ الحلـ	وةِ ناغَتْ بها ابتسامُ الزمانِ
وتجوبُ الأمادُ بالأملِ الرأ	قص يسري برجعها وجداني
وربيعي صباهُ عادَ كما كا	ن، زكيّ الأزهار والأفنانِ

- (١) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر . د. حسن بن فهد الهويمل - ط ١ - ٠٠ الرياض: المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٤٢٩.
- (٢) عبير الذكريات . شعر طاهر زمخشري - ط ١ - ٠٠ الرياض : تهامة - الرياض ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ٤٩، ٥٠.

عُبْقَرِي الإِهَابِ ضَا حِي الْأَسَا رِيرِ رَقِيقُ الْأَحَاسِيسِ عَذْبُ الْبَيَانِ
يَنْفُثُ السَّحْرَ بِالْحَدِيثِ الْمُصَفَّى وَيُغْنِي بِطَرْفِهِ الْوَسْنَانِ
وَصَدَى مَا يَبِثُ مِنْ أَغْنِيَاتٍ مَا لَهُ غَيْرُ صَوْتِهِ مِنْ كَمَانِ
حُلُوهُ ضَمَدَ الْمَوَاجِعَ بِالْأَنْفَا سِ مِنْ عَطَرِ وَرْدِهِ الرِّيَّانِ
وَعَلَى طَرْفِهِ قَرَأْتُ كِتَاباً سَطَّرَتْهُ مَفَاتِنُ الْأَجْفَانِ
وَعَلَى نُورٍ مَا بَهَا مِنْ فَتُونٍ أَتَرَعَ الْحُبُّ كَأْسَهُ بِالْحَنَانِ

... إلى آخر هذه القصيدة التي نقرأ خلال ألفاظها وتراكيبها عاطفة قوية مشبوبة، مسيطرة سيطرة كاملة على الشاعر.

وقد أسهمت قيم هذا النص التعبيرية في صياغة عاطفة الشاعر الصادقة، وذلك من مثل قول الشاعر : (دنيا الأمانى، يسكب الفؤاد الأغاني، ابتسام الزمان، الأمل الراقص، ربيعي صباه، ضاحي الأسارير، عذب البيان، ينفث السحر، يغني بطرفه الوسنان، على طرفه قرأت كتاباً، سطرته مفاتن الأجفان، أترع الحب كأسه). فهذه الألفاظ بما تشعّه من دلالات وإيحاءات تجاوزت حدود الدلالة الوضعية لها قد عبّرت بوضوح عن العاطفة المسيطرة على النص، في حلة أنيقة من الهمس الهادئ المطمئن.

ومثلها قصيدة حسن بن عبد الله القرشي "إليها" التي يقول فيها^(١):
كفكفي الهمَّ عن شفيف السَّماتِ وأريني تَلَأْلُؤَ البَسَمَاتِ
وأنيلي كَفَيْكَ قِيثَارَةَ الْحَبِّ بَ وَزَقِي فَرَائِدَ النِّعَمَاتِ
أَنْتِ تَأْسِينَ مِنْ جَوَى وَبِقَلْبِي دَرَّةٌ تَسْتَفْزُهُ لِلْحَيَاةِ

(١) ديوان حسن عبد الله القرشي - ط ٢ - بيروت : دار العودة ، ١٩٧٩م : ١/ ٥٥١ ، ٥٥٢ .

أنتِ تضوين ! يا لُضْلَةَ عِشْيِ إن يغضُ من سناكِ دَهرُ عاتِي
أنتِ تبكين ! نهني دمعك الغا لي وردِي بِوادرِ العَبَّراتِ
أنا أفديكِ بالفؤادِ وبالرُوءِ ح، وأسخو بفادحِ التَضحياتِ

هنا نجد الوزن الشعري وكذا القافية يسهمان إسهاما بارزاً " في تحقيق الجو الموسيقي الهامس عبر هدوء الروي وملاءمة حركته لكل ما سبق"^(١)، هذا بالإضافة إلى ما زخر به النص من الصور المتناسقة المتآزرة من مثل قوله : (كفكفي الهمّ، شفيف السمات، تألؤ البسمات، قيثارة الحبّ)، وما توافر فيه من الجمل المتألّفة من مثل قوله : (أنت تأسين، أنت تضوين، أنت تبكين) وكل ذلك قد أضفى على النص سكينه الهمس وطمأنينته.

وغادة الصحراء من الشاعرات اللواتي على شعرهن مسحة من هدوء الهمس وسكينته كما أن "في شعرها روح الصحراء والعرار والنخيل، وفيه شموخ وكبرياء نجديان، ولكنه لبنانيّ مهجريّ بهمسه ونجواه، فضلاً عن روحه وانطلاقه، وفيه"^(٢) صفات الشعر المهموس بحور مجزوءة، وقوافٍ عذبة... "^(٣)، ولها في ذلك قصيدة تقول فيها"^(٤).

أنا يا مذلّ دموعي أكادُ أشأ ما تشاءُ
سوى أنهن كبار دموعي كما الكبرياءُ

(١) الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينيات الهجرية. محمد بن حمد حبيبي - ط ١ - الرياض : المهرجان الوطني للتراث والثقافة ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م : ١٨١/٢.

(٢) في المصدر وردت هذه الكلمة : فيها، هكذا ولعله خطأ مطبعي.

(٣) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية : ١٢٠.

(٤) شميم العرار. شعر غادة الصحراء - ط ١ - بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م، ص ١٣١.

وكذا قصيدتها التي تقول فيها^(١):

ناداك ما في البیدِ والدُ أشعارِ من أطيابِ نجدِ
تبقى الوحيدُ مُملِكاً أحببتني أم خنت عهدي

وقصيدة " أهواك " لغادة نموذج رائع للإيقاع ذي النغم الهامس وفيها تقول^(٢):

أهواك يا قمرأ فضاح أغلاس ويا سنا أمل أبهى من الماس
ويا غنى وغناء من جنائهم تلك الوريقات بالريحان والآس
وقامة كاهتزاز الرمح قد سكنت عيني فطى جفوني أجمل الناس

حقاً إن ظاهرة الهمس في الأبيات واضحة، وقد برزت من خلال هيمنة الأصوات المهموسة وتآزرها مع حروف المد، ويأتي في مقدمة هذه الأصوات صوت السين الهامس الذي يوحي بالوجد والصمت والسكون، إلى جانب ما ذكرته آنفاً من الإيقاع الهامس. وفي قصيدة أخرى للشاعرة نفسها بعنوان "عينك" تقول^(٣):

فيهما اليمُّ والسحابُ وهذا الد مُنتهى والزوارقُ الداهياتُ
والأصيلُ الفتانُ مذ طابَ في الضوِّ رحيلُ وطابتُ الأمسياتُ
يا حبيبي عيناك أجملُ هذا الد كون أبهى ما غنت الذكرياتُ

في هذه الأبيات تسجيل لبعض مظاهر الطبيعة (اليم، السحاب، الزوارق، الأصيل، الضوء)، وفي هذا التسجيل إبراز لجانب من جوانب الجمال في الطبيعة، وقد أمدَّ ذلك النصَّ بنصيب من الراحة النفسية، والوقع الهامس.

(١) شميم العرار. : ٦٩، ٧٠.

(٢) السابق : ١٢٥.

(٣) السابق : ١٣٧.

وفي قصيدة "النشيد الحي" للشاعر سعد البواردي نجد نموذجاً شعرياً حماسياً، وعلى الرغم من ذلك جاء ذا نغمة هامسة، وقد قدم الشاعر قصيدته تلك بقوله : "إلى جميلة بو حيرد، تلك الإنسانة الحية المكافحة، إنها تحية تُهدى إليها باسم الجزائر المناضلة"^(١).

والقصيدة هي^(٢) :

وَدَفَقَاتُ نَفْسِي كَنَبْضِ الْقَدْرِ	خَطَى السَّعْيِ فِي مَهْجَتِي كَالشَّرَرِ
وَيَهْتَفُ صَوْتُ الْإِبَا وَالْحَنْزَرِ	وَفِي دَمْعَتِي تَسْبَحُ الْأُمْنِيَاتِ
يُؤَاكِبُهُ مِنْ ضَمِيرِي الْوَتَرِ	وَيَزْحَمُ رَأْسِي نَشِيدُ الْحَيَاةِ
وَمِنْ صِرْخَتِي سَيُطَلِّ السَّحَرِ	وَمِنْ آهَةِ الْأَمْسِ أَبْنِي جَنَاحِي
سَيَنْتَفِضُ الصُّبْحُ يَغْشَى الْبَشَرِ	وَمِنْ غَمْدِ سَيْفِي وَظِلِّ قَنَاتِي
وَأَسْلَمْتُ نَفْسِي مَهَاوِي الْحَفَرِ	أَنَا مَنْ أَكُونُ إِذَا مَا غَفَوْتُ
يَمَاتُلُهُ صَنَمٌ مِنْ حَجَرِ	سَوَى صَنَمٍ مِنْ دِمَاءٍ وَلَحْمٍ
تُؤَلِّدُ بَصْمَتِي أَهْدِ الْفِكْرِ	وَمَا عِشْتُ يَوْمًا إِذَا مَا اعْتَصَمْتُ
نِي أَنْيْنُ الْكُوسِ وَمُرَّ الْعَبْرِ	وَلَا كَانَ لِي الْعَيْشُ إِنْ لَمْ يُثَرِّ
وَعَيْرِي مِنَ النَّاسِ دَامِي الْأَثَرِ	وَلَا خَفَقَتْ فِي ضُلُوعِي الْحَيَاةِ

القصيدة كما ترى " هامسة، كل حرف وكل كلمة وكل جملة، البحر تحول إلى همس، قافية الراء بسكونها، وروح القصيدة لانته، وانظر : غفوت، أسلمت، مهراوي، يماثلته، لذت، بصمت، أهل الفكر، أنين، العبر، خفقت، إحياء ذهني، تصوير لفظي، كله رقة وانسياب، وتأمل كلمة (ثورة) التي تعتبر لافتة جزلة كيف حولها الشاعر إلى

(١) أغنية العودة . شعر سعد البواردي، دار الإشعاع، مطابع الرياض، د.ت، ص ١٨.

(٢) السابق : ١٨، ١٩.

مهموسة فجعلها فعلا، وأدخل عليها (لم) فصارت (لم يثربي) هذا هو الهمس^(١).
ومن الشعر المهموس أيضاً قصيدة " تأمل ومناجاة " للشاعر عبد الرحمن بن
عثمان الملا^(٢)، وفيها يقول^(٣):

فتأمل يا عقل خالقك الجبَّ رَأَيْ لَدَيْكَ مِنْ آيَاتِهِ
ربَّ أَمَنْتُ أَنَّكَ الْوَاحِدُ الْحَقُّ قُ وَهَذَا الْوُجُودُ مِنْ حَسَنَاتِهِ
فإلى ظِلِّ كَهْفٍ جُودِكَ أَهْضُو بِفُؤَادٍ تَعَاظَمْتَ هَفَوَاتِهِ
قد رأى الحقَّ مُشْرِقاً فِي ثَنَايَا هَدَيْكَ الْحَقُّ فَانْجَلَتْ ظُلُمَاتُهُ
واشْرَأَبْتُ إِلَى رِضَاكَ مِنْهُ وَبِنجَوَاكِ سَبَحْتَ خَلْجَاتِهِ
أنت كل الرجاء أنت ملاذي يَوْمَ يُؤْتَى كُلَّ امْرِئٍ صَفْحَاتِهِ

ومما وقفت عليه من ذلك أيضاً قصيدة طويلة حديثة عهد بالإنشاء والنشر، كتبها
الشاعر الدكتور سعد بن عطية الغامدي^(٤)، وعنوانها ب "يا مجيراً فزعت منه إليه".

(١) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية : ١١٩. وانظر : دراسات في الأدب السعودي .
د . عباس بيومي عجلان، ود . عبد الله سرور - الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية ،
١٩٨٩م، ص ٣٣٧.

(٢) (١٩٤٠م - ...). ولد في الهفوف، وحصل على درجة البكالوريوس في اللغة العربية، ثم عمل
في التدريس، من آثاره : أغاريد من الخليج (ديوان شعر)، و : ليل آخر (مسرحية شعرية)،
وكتاب تاريخ هجر . انظر : معجم البابطين : ١٠٤/٣.

(٣) أغاريد من الخليج . شعر عبد الرحمن بن عثمان الملا - ٠ ط ١ - الخبر : الدار الوطنية
الجديدة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص ١٣.

(٤) (١٣٦٤هـ - ...). وُلِدَ في الباحة، واصل تعليمه الجامعي في جامعة الملك سعود، وحصل على
درجة الماجستير والدكتوراه في المحاسبة من جامعة أوكلاهوما، ثم عمل عضو هيئة تدريس
في جامعة الملك، وتقل في بعض وظائفها، ثم أعييرت خدماته لبعض الشركات في القطاع
الخاص . له أشعار كثيرة، شارك ببعضها في بعض الأمسيات واللقاءات الشعرية . انظر :
دليل الكتاب والكاتبات : ٢٠٨، ٢٠٩.

هذه القصيدة كتبها الشاعر إجابة لصديق له بعث إليه يقول :

يا حبيبَ القلوبِ مَنْ لِي سِوَاكَ اِرْحَمْ اليَوْمَ مُذْنِباً قَدْ أَتَاكَ

والقصيدة في مجملها من قصائد الدعاء والمناجاة، ولا تخلو من التأمل والحكمة، وقد جاءت قافية القصيدة مطلقة، ورويها الكاف وهو صوت من الأصوات المهموسة، وإلى جانب ذلك هيمنت كثير من الأصوات المهموسة أيضاً على القصيدة من أمثال : حروف المد المتردد في أشائها، والمتلزم به قبل رويها. كما أن موضوع القصيدة الشعري موضوع يشع منه التأمل الممزوج بالحكمة، والعبرة والعظة.

يقول الشاعر^(١) في قصيدته تلك :

يا مجيراً فَرَعْتُ مِنْهُ إِلَيْهِ لَيْسَ لِلْخَائِفِينَ إِلَّا حِمَاكَ
أَوْغَلُوا فِي هُرُوبِهِمْ وَتَمَادَوْا فَاحْتَوَاهُمْ مِنَ الْقَضَاءِ فُضَاكَ
أَيْنَمَا يَمَمُوا اسْتَبَانَ دَلِيلُ يُلْهِمُ الشَّارِدِينَ مَغْزَى عِلَاكَ
فَعَلَى الْبَيْدِ بَارِقُ مِنْ سَنَاءٍ وَعَلَى الْيَمِّ خَافِقُ مِنْ سَنَاكَ
... إِلَى أَنْ قَالَ :

يا مُجِيباً هَذَا سُؤَالِي وَهَذَا حُرْقَةُ الْقَلْبِ مَنْ لَهَا إِلَّا كَا
جُدْتُ يَا رَبَّ بِالسُّؤَالِ فَجُدْ لِي بِجَوَابٍ قَدْ نَدَاكَ وَذَاكَ
يَا قَرِيباً وَلَيْسَ أَقْرَبَ مِنْهُ يَا بَصِيراً تَرَى وَلَسْتُ أَرَاكَ
يَا نَجِيَّ الْقُلُوبِ، نَجِّ قُلُوبِي شَفِّهِ الرَّانُ مَا اسْتَطَاعَتْ حِرَاكَ
نَسِيتُ رَبَّهَا فَتَاهَتْ بَعِيداً وَمَضَتْ تَوْسِعُ الْحُدُودَ انْتَهَاكَ

(١) جريدة الجزيرة، العدد : ١١٢٢٧، الأربعاء : ٢٥/٤/١٤٢٤هـ، ٢٥ يونيو ٢٠٠٣م، ص ٢١.

وتولت تعاقِر الإثم حتى
تَحسَى ذنوبها بيديها
كيف راحت في غفلة ما استبانت
كل جزءٍ من الأثيم شهيدٌ
تفتدى النفس بالأعز لديها
وتراها تضرُّ ممَّن أحبَّت
أنا يا ربَّ في فضائك أعدو
ردني عن غوايتي ربَّ إنني
أنا ياربُّ ما أتيت ضاللي
أو جحدتُ الذي افترضت لأني
لكن الذنب يا إلهي داءٌ
يحتسي المرءُ صرفه أشواكا

ويلجُ الموقف على الشاعر، ويتأمل بقلب واع سنن الله في الكون، فترسم أمامه صورة المصير المحتوم الذي يصير إليه الإنسان لا محالة وهو الموت ثم القبر، فيخاطب ساكن القبر الذي قضى عمراً في اللذات والشهوات، وقد أبصر بأم عينيه مصارع القوم من حوله :

ساكن التَّرب كنت بالأمس فينا
غير وان ترد بالخطب خطباً
ناعم العيش في نوال وصحب
كيف أمسيت ثاويًا لست تدري
في فلاة ما كنت تعرف منها
ربما جرتها حثيثاً ولكن
سامعاً وأعيأ تمدُّ مناكاً
وتذيبُ الصِّباح فوق سراكا
تسكبُ العطر في رياض شذاكا
من أتى زائراً ومن قد جفاكا
قبل هذا حتى غدت مثواكا
في غطاء لا تستبين خطاكا

الطريقية

السنة الثامنة

العددان : الثلاثون والحادي والثلاثون

جمادى الآخرة - رمضان ١٤٢٦هـ

يوليو - أكتوبر ٢٠٠٥م

تمضغُ القولَ في مفازاتِ لهوٍ بضروبِ الحديثِ تملأُ فاكاً
كم تخطيتَ للعرَاءِ عَزَاءً ونسيتَ العبورَ يومَ عزاكِ
ورأيتَ النعيَّ إثرَ نعيٍّ ما استجابتُ لِنَعْيِهِ شَفَتَاكِ
لَمْ يلامسْ لَدَيْكَ قَلْباً ففِيهِ ألفُ طيفٍ تَبَثُّهُ دُنْيَاكِ
أو يحركُ منَ الدموعِ نَثِيراً عزَ دمعٍ ولم تجدِ عيناكِ

لم يجد الشاعر أمامه وهو يخاطب ساكن القبر إلا لغة الهمس تلك اللغة القادرة على الإيحاء بالمعاني والأفكار التي تتزاحم في مخيلته، مُعلنة الاعتراف بالتقصير في أداء الواجب، والتفريط في جنب الله.

وتذكرُ المصير المحتوم، مع الشعور بالتقصير والتفريط يغشيان القلب الحي، والضمير اليقظ بكثير من معاني الرهبة والخوف وهذا هو ما دفع إلى إنشاء هذه القصيدة التي عبّر الشاعر عن مناسبتها بقوله : "... ولأنني واحد من المستجيرين، وواحد من الخائفين وفي يقيني أنني من أشدهم حاجة، وأكثرهم إلحاحاً، غلبت العينين غشاوة دموع صباح شفيف، وأخذتني نوبة بكاء خفيف، ووجدتني بعد ذلك أذهب في رحلة بعيدة عُدت منها لأجد هذه الأبيات على الأوراق، وقد عشتها وجداناً ومشاعر أكثر مما هي حروف وضمائر"^(١).

لقد عاش الشاعر رحلة بعيدة - كما يقول - لكنها رحلة الشعور والمشاعر، والتفكير والتأمل في مصير الإنسان، وهي رحلة لم تتجاوز مراكز التفكير لديه، ولكنها بعيدة في حقيقتها، وأهميتها، والغاية منها، والدروس المستفادة منها أيضاً. وقد يؤمل المرء آمالاً عراضاً، ويطمع في التمتع بأنواع الملذات، ولكن الزمن يفجؤه بفوات الفرص، وتغيّر الأحوال ؛ فيندم لذلك أشدّ الندم، ويبكي أحر البكاء،

(١) جريدة الجزيرة مصدر سابق : ٢١.

ويلجّ به الأنين والحنين إلى ما كان يمنيّ به نفسه، ولا يجد أمامه إلا النواح والتباكي.
ومن ذلك ما نجده في قصيدة طاهر زمخشري " الموعد الضائع " التي يقول فيها^(٢):

قد أضعنا الوعدَ في غفلتنا	وانتفضنا نقطع التّيه فضعنا
نصب الدهرُ شراكاً من أسى	مدّ في التّيه حبّالاً فانخدعنا
فأضعنا العمرَ ما كان لنا	أن نُضيع الحبّ لولا من أطعنا
أسرفوا في القولِ فينا باطلا	أترعوا الأكوابَ عدلاً فجرعنا
والخيالُ الخصبُ قد شطّ بنا	موه الدربَ فمِلنا واندفعنا
لخضمّ صور الوهم لنا	أنه دربُ هوانا فصعقنا

إلى أن قال^(١):

قد أضعنا فُسحة العمرِ فهل	تُرجعُ الأيامُ مما قد أضعنا
وشراعُ الهمِّ في لُجّ الأسى	فوق أثباج شقاءٍ قد صرعنا
ومن الصّبرِ أردنا منقِذاً	علنا ننجو ولكن ما استطعنا
فالمجاديفُ التي كنا بها	نقطعُ اليمّ تهافتاً فانقطعنا
والمقاديرُ التي كانت لنا	مرفأً غابت فيا ليت استمعنا
للنداءاتِ ومن أصدائها	تسكبُ الفرحةُ لكن ما اقتنعنا
بلقاءٍ كان فينا بالرضا	فطواه الدهرُ منا فانصدعنا
ورمّانا أنت في كف النوى	وأنا أحيا بلا مغنى ومعنى
كلّنا يلهث في غريته	ليت أنا ما أطعنا أو سمعنا
فإذا ضيقنا احتمالاً بالأسى	فالمنى تحفظُ عنا ما أضعنا

(٢) عبير الذكريات : ١٢٥ .

(١) السابق : ١٢٦ .

ومن النماذج أيضاً قصيدة العشماوي^(١) "تحليقة روح" التي يقول فيها^(٢):

نفسى عرفتك بين أحـ	ضان الكآبة والجراح
نفسى، فصبراً إنما الدـ	دنيا وإن رقت كفاح
كم فارس ضحكت له الدـ	دنيا فزمر واستباح
ومشى على هام الزما	ن مغرداً صعب الجراح
يسعى لغايته وقد	جعل الرجاء له سلاح
فمضى عن الدنيا وخلد	لف بعده طيف النواح
كم جامع للمال يا	نفسى قتل الارتياح
يسعى وراء المال أنـ	نى كان مغلول السراح

ننظر في الأبيات السابقة فنجد الشاعر يحدث نفسه مسلياً ومعزياً، وذلك بتذكيرها بما آل إليه حال الكثيرين من أهل الدنيا بعد أن عاشوا في رغد ونعيم وأمن، فلم تغن عنهم أمجادهم ولا ثرواتهم من الله من شيء، وكان حديث الشاعر إلى نفسه حديثاً هامساً عليه مسحة من الشفافية والهدوء، والخضوع والاستسلام، يبرز ذلك بوضوح التزام حرف المد الذي يسبق الروي، بالإضافة إلى انتشار هذا المد في أثناء النص وهو ما يُمثل مظهراً من مظاهر الحركات الطوال التي تسمح بطول

(١) (١٢٧٥هـ - ...) . ولد في قرية عراء في منطقة الباحة، وتلقى تعليمه الأولي بها، ثم واصل تعليمه الجامعي في كلية اللغة العربية بالرياض وتخرج فيها ١٣٩٧هـ، وواصل تعليمه العالي فحصل من الكلية نفسها على درجتي الماجستير والدكتوراه في الأدب والنقد، وعمل في عدد من الوظائف الجامعية. له مشاركات صحفية وأدبية، ودواوين شعرية كثيرة. انظر : معجم الأدباء والكتاب : ١ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٢) صراع مع النفس. شعر د. عبد الرحمن بن صالح العشماوي - ط ٢ - الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص ٦٣ .

النفس، وزيادة التأمل والاعتبار، هذا بالإضافة إلى الأصوات المهموسة المنتشرة في النص وعلى رأسها الكاف، والحاء، مع تكرير بعض الألفاظ التي زادت من طبيعة النص الهامسة، ومن تلك الألفاظ المكررة قوله : (نفسى، يسعى).

من هذه النماذج وغيرها كثير لم أذكره نستدل على شيوع ظاهرة الهمس في شعر شعرائنا السعوديين الذين لم ينطوا على أنفسهم، ولم يعيشوا في أبراج عاجية مبتعدين عن العالم من حولهم، وإنما أخذوا أنفسهم بأنواع الثقافات، واتصلوا بإبداعات القوم من حولهم عبر وسائل الاتصال المختلفة، وتأثروا بآداب الشعوب، فانعكس ذلك كله على إبداعهم الأدبي؛ مما كان سبباً في شيوع كثير من الظواهر الفنية، ومنها ظاهرة "الهمس".

المبحث الثاني : أسباب شيوع الهمس في الشعر السعودي :

شاعت ظاهرة "الهمس" في شعر شعرائنا السعوديين المجددين منهم والمقلدين وكذا الشيوخ والشباب، وذلك راجع إلى أسباب وعوامل منها ما هو خارج عن طبيعته، وافد على بيئته، وهي ما يمكن أن أسميها الأسباب الخارجية ومنها ما هو من طبيعته وبيئته، وهذه يمكن أن أسميها الأسباب الداخلية.

أولاً : الأسباب الخارجية :

بعد أن تم توحيد المملكة المترامية الأطراف على يد مؤسسها جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - بدأ الاتصال الواعي بالثقافات والآداب العالمية المختلفة، التي أثّرت بدورها في ثقافة السعوديين، وتبعاً لذلك تأثر نتاجهم الأدبي بالمداهب الأدبية، والظواهر الفنية الموجودة في تلك الآداب ومن بين هذه الظواهر "ظاهرة الهمس" التي شاعت وانتشرت في شعر بعض الشعراء السعوديين بفعل بعض العوامل والأسباب المؤثرة.

ومن أبرز الأسباب الخارجية ما يأتي :

١ - الشعر المهجري :

نظراً لتوافر قنوات الاتصال بين الآداب، وانفتاح الشاعر السعودي على ما حوله من آداب الآخرين ومنها الأدب المهجري وخاصة الشعر منه، ووعي ذلك الشاعر بضرورة الإفادة من الآخرين، وإعجابه الشديد بما وصله من شعر مهجري، فقد أضحت آثار ذلك واضحة بأدنى نظر، وأصبح بعض الشعراء المهجريين مثلاً أعلى للشعراء السعوديين يحتذون حذوهم، وينهجون نهجهم، مفيدون من إبداعهم وطرائقهم فيه.

وعلى الرغم من كون الهمس ظاهرة من الظواهر الرومانسية التي امتد أثرها إلى الشعر السعودي، فإن هذه الظاهرة تبقى من جهة "أثراً من آثار اتصال الشعر السعودي بالشعر المهجري الذي عُرِف عنه بأنه الشعر المهموس"^(١).

ومن أجل ذلك وجدنا هذه الظاهرة "إذا ذكرت ذكر معها المهجريون بوثق الصلة بين هذا الصوت الخافت والأغراض التي أطلالوا التعبير عنها ؛ ولارتباط الهمس بالمتنازع الرمزية والذاتية.." ^(٢) التي صيغ كثير منه في تياراتها واتجاهاتها.

وعلى الرغم من كل ما سبق فإن ظاهرة الهمس في الشعر السعودي ليست "خاضعة لتأثر الشعراء بالمهجريين..."^(٣) فقط، بل إنها خاضعة لذلك ولغيره من العوامل والأسباب، كما سيتضح.

-
- (١) التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث. د. طلعت صبح السيد - ط ١ - الرياض : دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص ٢٤٤.
- (٢) النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر : ٤٢٨.
- (٣) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية : ١١٦.

٢ - النزعة الرومانسية :

وبطبيعة الحال فقد تأثر الإبداع الشعري السعودي بالرومانسية التي وجد فيها أكثرهم ما يناسب أحاسيسه ومشاعره، ويوافق هواه وطموحاته، وتطلّعاته، وينسجم مع روح تجربته الشعورية ومعاناته.

وكان وراء ذلك عوامل أوضحها أ. د. محمد بن سعد بن حسين في الآتي^(١) :

١ - الروحانية القوية التي شاعت وانتشرت في المجتمع.

٢ - القلق والاضطراب الذي عاشه شعراء مطلع القرن الثالث عشر الهجري، نتيجة إرهاب العهد التركي لهم ولمجتمعهم.

٣ - الطبيعة الانطوائية التي عاشها بعض الشعراء ؛ مما اضطرهم إلى الانعزال عن المجتمع، والاختلاء بالنفس.

٤ - الثقافة الوافدة المتمثلة في مؤلفات ومترجمات الأدباء المهجريين وغيرهم من أدباء العالم العربي، تلك الثقافة المصبوغة بمعالم الرومانسية ومظاهرها.

وقد أكّد ذلك الدكتور بكرى شيخ أمين بقوله : " لقد كان ظهور هذا التيار في قلب الجزيرة نتيجة لعوامل تشبه العوامل التي أدت إلى ظهوره في الغرب. ونجمل أهمها فيما يأتي : حياة القلق والاضطراب التي تسود العالم العربي عامة، وشعور الأدباء بتخلخل المجتمع، وعجزهم عن تحقيق مآربهم وآمالهم، واصطدام المطامع العظيمة في نفوسهم بالعقبات والسدود. وقد دفعهم هذا إلى أن يلتمسوا لهم مهرباً يفرّون إليه من واقعهم المرير، فلاذوا بالطبيعة يبتئونها شكاتهم، ويتجاوبون معها تجاوباً روحياً حزيناً، كما حلّقوا في سماء الخيال، وهاموا بأودية الرؤى والأحلام

(١) انظر : الأدب الحديث : تاريخ ودراسات . د. محمد بن سعد بن حسين - ط١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٨٩.

والأوهام، وسبحوا بأرواحهم فيما وراء الطبيعة. إضافة إلى هذا يمكن أن نقول إن المزاج الانطوائي الذي يفرض على بعض الشعراء أن يعيشوا في أبراجهم العاجية وينطوا داخل نفوسهم عامل آخر أدّى إلى الرومانسية^(١).

أضف إلى العوامل السابقة "الاستعداد الذاتي لدى كل فئة من الأدباء التي كانت تطمح إلى إحداث نهضة حقيقية تقوم على استيعاب المفاهيم العصرية التي لا تتناقض مع المفاهيم الإسلامية الصحيحة ولكنها تتأثر بالروح الحضاري الحديث، وتهدف فيما تهدف إليه إلى إشادة صرح شعري حديث له خصائصه وملامحه الفنية المستقلة"^(١).

وهكذا فإن ملامح الرومانسية، ومظاهرها أصبحت واضحة في إبداع الشعراء السعوديين، ليس المجددين منهم فحسب، بل إننا نجد هذه الصبغة الرومانسية حتى في أشعار المحافظين منهم أيضاً، وإن كانت عندهم أقل منها عند المجددين^(٢).

كما أن هذه الملامح والظواهر الرومانسية قد تعددت، وتنوعت في الشعر السعودي المعاصر "في إيقاع عذب ومدلول يلتصق به الوجدان، ولغة رقيقة هامسة، تعبر في إيقاع شفيف عن موضوع رقيق وهو ما سُمي بالشعر المهموس"^(٣).

ويرى دارسو الشعر السعودي الحديث أنه مرّ بثلاث مراحل، ويختلفون في تسمية هذه المراحل^(٤).

(١) الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية . بكري شيخ أمين - ط٤ - ٠٠ بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٥م : ٣٨٦.

(١) الشعر الحديث في الحجاز . عبد الرحيم أبو بكر - الرياض : دار المريخ ، د. ت، ص ٢٦٩.

(٢) انظر : التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث : ٢٠٦.

(٣) دراسات في الأدب السعودي : ٣٣٧.

(٤) انظر : الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينيات الهجرية : ٣٢/١.

فيرى بعضهم أن المرحلة الأولى هي الكلاسيكية الميتة، تليها الكلاسيكية الحية، وبعدها مرحلة الرومانسية^(١).

ويرى بعضهم الآخر أن المرحلة الأولى هي مرحلة المحافظة، والثانية مرحلة المحافظة المجددة، والثالثة المجددة^(٢).

ومهما اختلفت التسمية، فإن الذي يعنينا هو أن الرومانسية قد امتدت إلى الشعر السعودي الحديث وظهرت آثارها واضحة فيه، وذلك على مراحل متعاقبة متتالية، وهو تطور طبيعي لكل ظاهرة أدبية.

وقد أسهمت هذه الطبيعة أو النزعة الرومانسية في شيوع ظاهرة الهمس في الشعر السعودي الحديث خاصة : نظراً لما بين الرومانسية والهمس من التشاؤم والعلاقات الوثقى : ذلك أن "الإلهام الرومانسي هو الذي يهب الشاعر دائماً ملكة الإبداع الفني في كل صوره الرفافة الهامسة الحاملة، هذا الإلهام تجيش به تيارات عاصفة من الحب، والجمال والطبيعة، والألم"^(٣).

ويعد الشاعر الأمير عبد الله الفيصل "رائد النزعة الرومانتيكية في الشعر النجدي المعاصر، وأحد أقطاب الشعر العاطفي في العالم العربي"^(٤). كما يعد الشاعر الوزير غازي القصيبي أيضاً من أبرز الشعراء السعوديين الذين انطبع شعرهم بالنزعة الرومانسية الحقّة، وأصبح يمثلها أصدق تمثيل.

(١) انظر : التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية . عبد الله عبد الجبار، معهد الدراسات العربية العالية - جامعة الدول العربية، ١٩٥٩م، ص ٢٤٩.

(٢) انظر : الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥هـ - ١٣٩٥هـ) . د. عبد الله الحامد - ط ١، دار الكتاب السعودي - ط ٢ - الرياض، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٦١.

(٣) مدارس الشعر الحديث . د. محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة مطبعة وهبة حسان - القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، د. ت : ٣١٤.

(٤) شعراء نجد المعاصرون : ٨٦.

هذا بالإضافة إلى ما ظهر في أشعارهما من النزوع إلى المذاهب الفنية الأخرى، وفاق ما يفرضه عليهما المقام، والموقف الشعري الملحّ.

٣ - الرمزية :

تعد الرمزية التي شاعت في كثير من الإبداع الأدبي لدى أدباء العصر باعثاً مهماً من البواعث على الهمس ؛ وذلك لما بينها وبين الإيحاء من الترابط والتلاحم الذي يمثّل - بدوره - الهمس في أجلى صوره، وأبرزها .

والرمزية مذهب أدبي من المذاهب الغربية التي تأثر بها الشعراء السعوديون، كما تأثر بها غيرهم من أدباء العالم العربي، وغيرهم.

وقد ظهرت آثار هذا المذهب في شعر الشعراء السعوديين على مراحل ثلاث هي^(١):

المرحلة الأولى :

وهي مرحلة ظهور الرمزية ممتزجة بالمذاهب الأدبية الأخرى كالاتباعية، والابتداعية، ومذهب الفن للفن.

وتتمثل هذه المرحلة في شعر كل من العواد، وعبد الوهاب آشي^(٢)، وإبراهيم هاشم الفلالي^(٣)، وأحمد قنديل، والأمير عبد الله الفيصل، وغيرهم.

(١) انظر: الرمز في الشعر السعودي. د. مسعد بن عيد العطوي - ط ١ - الرياض: مكتبة التوبة، ١٤١٤هـ = ١٩٩٣م، الصفحات: ١٣٨، ١٣٩، ١٦١، ١٦٤، ١٩١، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٣١، ٢٦٥، ٢٧٤.

(٢) (١٣٢٣هـ - ١٤٠٥هـ). ولد في مكة المكرمة، ودرس في مدرسة الفلاح حتى نال شهادتها، ثم عمل في عدد من الوظائف، ومن بينها الصحف والجرائد، وهو شاعر ناثر رائد من رواد الصحافة والأدب. انظر: معجم الأدباء والكتاب : ١ / ١٧.

(٣) (١٣٢٤هـ - ١٣٩٤هـ). ولد في مكة المكرمة، وعمل بها في بعض الوظائف الحكومية، ثم انتقل إلى القاهرة وعمل في دكان له بها، ثم عُيّن مراقباً بدار البعثات السعودية بمصر، بعده تفرغ للأدب، وهو شاعر ناقد له بعض الدواوين الشعرية، والكتب، والقصص. انظر : معجم الأدباء والكتاب : ١ / ٢٨٠، ٢٨١.

المرحلة الثانية :

وفي هذه المرحلة يظهر الاعتماد على الرمز أكثر من الاعتماد عليه في سابقتها، كما يظهر اهتمام الشعراء في هذه المرحلة بالرمز التراثي أكثر من اهتمامهم بما سواه من أنواع الرمز الأخرى.

ومن فئة الشعراء هنا القصيبي، ومحمد الفهد العيسى^(١)، وحسن عبد الله القرشي، وناصر بو حيمد، وغيرهم.

المرحلة الثالثة :

وهي مرحلة الرمزية الشكلية الخالصة، والجمالية المتقدمة، وفيها تمثل الشعراء الرمزية بكل أبعادها ومفاهيمها.

وأكثر شعراء هذه المرحلة من الجيل المتأخر الذي ظهر إبداعهم بعد عام ١٣٩٠هـ. ومنهم محمد الشبتي^(٢)، وعبد الله بن علي الخشرمي^(٣)، وغيرهما. وهكذا أصبحت الرمزية سمة واضحة على بعض الإبداع الشعري السعودي كما هو واضح في غيره من الشعر في الأقاليم والبيئات الأخرى.

-
- (١) (١٣٤٣هـ - ...) . ولد في عنيزة، وحصل على عدد من الدبلومات المختلفة. تنقل في عدد من الوظائف الحكومية، كان آخرها العمل سفيراً للمملكة العربية السعودية في الكويت ثم في قطر ثم في الأردن. له مشاركات شعرية وصحفية، وإذاعية. انظر : دليل الكتاب والكاتبات : ٢٠٦، ٢٠٧ .
- (٢) (١٣٧١هـ - ...) . ولد في الطائف، وواصل تعليمه حتى نال درجة البكالوريوس في الاجتماع من جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠٠هـ، ثم عمل مدرساً فموظفاً في إدارة التعليم بمكة المكرمة، وهو شاعر له بعض الدواوين الشعرية المطبوعة.. انظر: معجم الأدباء والكتاب : ٥٢/١ .
- (٣) (١٣٧٦هـ - ...) . تلقى تعليمه الأولي في مكة المكرمة وجدة، وحصل على البكالوريوس في الإدارة العامة من جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وعمل في التدريس كما عمل في الصحافة وغيرها. له بعض الدواوين الشعرية والمشاركات الأدبية، والكتابات الصحفية والتاريخية. انظر: دليل الكتاب والكاتبات : ٩٨ .

وعلى الرغم من ذلك فلا بد من الإشارة إلى أن ظهور الرمز لدى الشعراء السعوديين، واعتمادهم عليه لم يكن على درجة واحدة، أو مستوى واحد، بل نجد الشعراء قد "اختلفت مذاهبهم، فمنهم من اتكأ على الرمز الأسطوري كالشاعر محمد حسن العواد، ومنهم من لجأ إلى الذاتية الرمزية كمحمد حسن فقي، ومنهم من اتكأ على الرمز التشبيهي كمحمد جدع، ومنهم من لجأ إلى الرمز الاستتاجي والذاتي كالرميح، والمنصور^(١)، والبواردي، ومنهم من جمع بين مظاهر الرمز كالقرشي والقصبي^(٢)."

وقد كان لهذا أثره الواضح في بروز ظاهرة الهمس لدى بعض الشعراء السعوديين، وخاصة أولئك الذين اتخذوا الرمز أسلوباً في التعبير عن أحاسيسهم ومشاعرهم، وطموحاتهم وآمالهم، وما يختلج في نفوسهم من هموم وغموم، أو مرح وأفراح. ومن هنا صح القول : إن "الهمس قد شكّل صبغة مذهبية في شعر كثير من هؤلاء الشعراء ، ومردّد ذلك فيما أرى إنما يعود إلى اعتمادهم على الرمز الذي هو ألصق بالهمس، وأبعد ما يكون عن الضجيج والرنين والخطابة، هذا فضلاً عما لديهم من هُيام ، وأحلام ، وخيال ، ومثالية ، وكلها في الحقيقة تُقوّي الهمس وتشدّد من أزره"^(٣).

(١) (١٣٤٥هـ - ...) عبد الرحمن بن محمد المنصور. ولد في الزلفي وفيها تلقى مبادئ القراءة والكتابة، وحصل على الشهادة الثانوية من المعهد السعودي بمكة المكرمة، ثم واصل تعليمه الجامعي في كلية اللغة العربية بالأزهر، كما حصل على الدبلوم في التربية وعلم النفس من جامعة عين شمس بمصر. انظر : شعراء معاصرون : ١٣٧.

(٢) الرمز في الشعر السعودي : ١٣٧.

(٣) التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث : ٢٤٤.

وهكذا نجد أثر الرمز واضحاً في شيوع ظاهرة الهمس في شعر هؤلاء الشعراء الذين برزت في إبداعهم معالم الرمز ومظاهره التي يلتقي معه الهمس في كثير منها. ومن هنا اعتبرت الرمزية أو الرمز سبباً جوهرياً من الأسباب المهمة وراء وجود هذه الظاهرة وشيوعها في الشعر السعودي، كما أن لها الوظيفة نفسها في غيره من شعر الشعوب الأخرى.

ثانياً : الأسباب الداخلية :

إضافة إلى ما تقدم من أسباب خارجية هيأت إلى بروز ظاهرة الهمس في شعرنا السعودي ، فإننا نجد هناك أسباباً أخرى منبعثة من طبيعة الشعر، ومن طبائع الشعراء أيضاً قد فرضت على شعرائنا بعض القيم التعبيرية والموضوعية التي منها الهمس، وهذه أسباب داخلية لا يمكن فصلها تماماً عن الأسباب الخارجية؛ لأن جزءاً كبيراً منها قد نشأ في أحضان الأسباب الخارجية ونتج عنها. وأبرز الأسباب الداخلية ما يأتي :

١ - طبيعة الحياة الناعمة الهادئة :

الأدب السعودي (شعره ونثره) تصدق عليه كلمة "أدب" تلك الكلمة التي تعني شيئاً ينشأ، ويشب، ويتزعزع، ويتأثر بما حوله من خير وشر، و نعيم وشقاء، وغير ذلك من الأحوال التي يعيشها الأديب بإحساسه وشعوره، فتصبح لديه معاناة وتجربة شعورية ملحّة، تدفعه إلى تجربة أدبية معبرة بلغة مقروءة، ومسموعة.

وقد نشأ هذا الأدب عامة والشعر منه بخاصّة في بيئة - بحمد الله - آمنة مطمئنة، يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ؛ فلانت لذلك طباع القوم، ورقّت حواشي دنياهم، وعاشوا ألواناً من الحضارة التي شملت جميع جوانب حياتهم، فصبغت بأصباغ مترفة ناعمة أوحّت إلى الناس طبائع لينة، وعادات ناعمة؛ فمالت الحياة كلها إلى الهدوء، وأصبحت

مشكلات العالم تُحل خلف ستائر السياسة أكثر مما تُحل في غرفة عمليات القيادة..."^(١).
لقد كان الهمس في الشعر أثراً من آثار تلك "الحياة الجديدة التي منحت شعراء التجديد في المملكة طبائع ليّنة، تميل إلى الهدوء، وتجعلهم يخالفون في شعرهم الشعراء المحافظين في الرنين والجلبة، والموسيقى الخارجية المفخمة"^(٢).
وما من شك في أن "نعيم العيش والترّف، ووسائل التقدّم العصرية شيئان ثابتان، ونفسية الشاعر الرومانسية الحاملة المُغرقة في الرؤى والخيالات هذه أسباب ظهور الهمس، واختفاء الجزالة والفخامة"^(٣).

٢ - الإحساس بالغربة والألم :

قد يعيش الشاعر غربة حسية حين ترمي به الأقدار إلى مكان غير مكانه الذي نشأ فيه وألفه، وقد يبقى على تراب موطنه الأصلي لا يبرحه؛ إلا أنه مع ذلك يحسّ في داخله غربة شعورية، تُكدر عليه صفو العيش، وتتغصّ لذة الترف والنعيم، فيُصاب حينئذٍ بالقلق "وليس ثمة شك في أن الاغتراب قرين القلق، فهو ملجأ الشاعر حين يضيق ذرعاً بالآخرين، فيعتزلهم، وينأى بنفسه عنهم .. إنه النزوع إلى التأمل تحت ضغوط الواقع"^(٤).

كما أن الانتظار قد يكون هو الآخر سبباً في القلق "والنفس المضطربة المنتظرة تكون في أقصى قلقها عند اللحظات الأخيرة من الانتظار"^(٥).

(١) في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية : ١١٦ .

(٢) التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث : ٢٤٤ .

(٣) الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية : ١١٦ .

(٤) في النقد الأدبي الحديث . د. محمد صالح الشنطي - ط ١ - حائل : دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٥) حول الشعر المهموس . عبد القادر القط، مجلة الثقافة، العدد: ١٩٤، السنة الرابعة، ١٣٦١هـ / ١٩٤٢م، ص ١٧ .

ويزداد الشعور بالاغتراب في سن الشباب، وفي ذلك تقول جليلة رضا "وتلك ظاهرة طبيعية في سن الشباب سن التبرّم والضيق والقلق، وعدم الملاءمة بين واقع الحياة، وأحلام الأرواح الفتيّة وآمالها الواسعة نظرة سوداء للحياة، وتشاؤمٌ مرٌّ، وشُحنةٌ هائلة من اليأس التّمسّ"^(١).

والحقيقة "أننا مغتربون إما في ماضينا الذي نعجز عن وصله بالمستقبل، وإما في مستقبل ليس مستقبلاًنا"^(٢).

ويزداد الإحساس بالغربة والألم لدى الشعراء المتشائمين أكثر من غيرهم : وذلك لما يعانونه من ألم الحرمان، وعدم الاطمئنان للواقع، والخوف من المستقبل، والانتظار للغائب المرعب على قدر تفكيرهم واعتقادهم.

وحين يغترب المرء في أحاسيسه ومشاعره، ويقلق، فإنه حتما سيدركه الألم لذلك الواقع الذي يعيشه، وسيجأ بالشكوى، ويلجّ في الحنين إلى موطن أنسه، وسكينة نفسه، وطيب أحاسيسه ومشاعره، وجميل ذكرياته.

وهذه الشكوى من الناس والحياة، وهذا البرم بجميع ألوانه وأشكاله " لم يكن بالجديد في حياتنا الأدبية والاجتماعية لكنه لدى السابقين أكثر واقعية، أعني أنه لم يكن مفتعلاً كما هو عند كثيرين من المتأخرين من أهل هذا الزمان وأسلافهم الأذنين"^(٣).

وتتنوع الشكوى، ويتعدد الألم، فقد يكون : ألم فراق أو هجران أو حرمان :

(١) ديوان شعاع الأمل. شعر صالح أحمد العثيمين - القاهرة: دار الطباعة الحديثة، ١٩٥٨م: المقدمة.

(٢) دائرة الإبداع. شكري محمد عياد - القاهرة: دار إلياس العصرية، د. ت، ص ١٣٤.

(٣) الشاعر حمد الحجّي، تأليف: د. محمد بن سعد بن حسين - ط ١ - الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ٨٢.

مما يجعل الشاعر يحسّ بضعفه وعجزه عن السيطرة على أحاسيسه ومشاعره وعواطفه، فيعرب عن أتراحه بلغة هامسة، وبمضامين قد تكون هامسة أيضاً. ومن خير ما يمثل ذلك قصيدة حمد الحجّي^(١) التي اختار لها عنوان "من أعماق نفسي" وتبلغ أبيات هذه القصيدة سبعين بيتاً، والقصيدة لها من عنوانها نصيب فـ "الحق أنك تُحسّ مع كل بيت أنه خرج من أعماق نفس الشاعر؛ ليستقرّ في أعماق نفسك، فجميعها من الأعماق إلى الأعماق"^(٢). وفي مستهل هذا القصيدة يقول الشاعر^(٣):

إن نظرتُ الجمالَ غُضاً طَرياً يتجلّى في المنظرِ الخلابِ
لاحَ لي أسودُ المصيرِ كمُسودُ دِ اللّيايِ مُكشّرِ الأنيابِ
فرأيتُ الجمالَ يُطوى بأكفا نِ، ويَبلى مُمزّقَ الأسلابِ
وإذا ما الحياةَ قلبي يوماً فَرَحَتْهُ بُزورةُ الأحبابِ
أيقنتُ نفسيَ الفراقَ طويلاً ورأيتُ الوصالَ مثلَ السّرابِ

وأول ما يصادفنا في هذه الأبيات ذلك التقابل الذي يحتوي الوجود والمشاعر الحزينة للشاعر المكروب، وهو ما يمثّل وسيلة واضحة من وسائل الهمس في القصيدة.

- (١) (١٣٥٧هـ - ١٤٠٩هـ). وُلِدَ في مَرَاتٍ بالقرب من الرياض، وتلقّى تعليمه الابتدائي بها، ثم واصل تعليمه في المعهد العلمي بالرياض ونال شهادته عام ١٣٧٦هـ، ثم واصل تعليمه الجامعي في كلية الشريعة وكلية اللغة العربية، وقبل تخرجه فيهما أصيب في قواه العقلية مما أذهله عن نفسه وعن مجتمعه، وظل على هذه الحال إلى أن توفي (رحمه الله). انظر: عذاب السنين . شعر حمد بن سعد الحجّي - ط ١ - ٠ الرياض - المملكة العربية السعودية : دار الوطن ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، صفحة الغلاف، الشاعر حمد الحجّي : ٩، ١٠.
- (٢) السابق : ٤١.
- (٣) عذاب السنين : ٣١.

وفيها يقول أيضاً^(١):

واشتياقي على الدوام لكل ل خفي مجنح منساب
فإذا ما استبان وجه لأمر رحت أرنو نحو المعاني الغراب
لو تراني وقد طحا بي فكري وأطارت مني الشؤون صوابي
لتوهمتني بريئاً من اللب ب: ضعيفاً مُحطَّم الأعصاب

وفي جزء من القصيدة نفسها عنوانه الشاعر بـ "الناس والحزين"، نجد الشاعر يجأر بالشكوى من الشقاء والعذاب الذي لزمه في رحلته في الحياة، وقد أخفاه عن الناس، وذلك قد أضفى على الأبيات جواً من الهدوء والضعف الذي بدوره كان مبعث همس أيضاً، فيقول^(٢):

ما لقيت الأنام إلا رأوا مني نبي ابتساماً وليس يدرون ما بي
أظهر الانشراح للناس حتى يتمنون أنهم في ثيابي
لودروا أنني شقي حزين ضاق في عينه فسيح الرحاب
لتناءوا عني ولم ينظروني ثم زادوا نفورهم باغتيابي
فكأنني آتي بأعظم جرم لو تبدت تعاستي للصحاب

إننا أمام قصيدة الحجي تلك أمام نموذج شعري فريد في الحديث عن النفس في صورتها البالغة الذروة في الإحساس بالألم والحزن اللذين مردهما في الحقيقة ما كان يعانيه الشاعر من أمراض نفسية عصبية، أرهقته صحياً ونفسياً، وجعلته ينظر إلى الحياة بمنظار أسود قائم لا ترى من خلاله حبة خردل من نور.

(١) عذاب السنين : ٢٢.

(٢) السابق : ٢٢.

وفي الوقت نفسه نحن أمام حديث نفس حزينه مكلومة إلى نفس رحيمة ودودة مخلصه، ترتبط بالشاعر وتشاطره همومه وأحزانه، وتأسى لحاله. وللحجي أيضاً قصائد أخرى تحكي معاناته وتشاؤمه، كما تصور أحزانه الجاثمة على صدره، ومنها قصيدته "ديواني" التي يقول فيها^(١):

أوراقه إلا أغاني حزين	راجعتُ ديواني فلم ألقَ في
سطره بين الأسى والأنين	قرأته فارتعتُ من بؤس من
أيامه نوح ودمع سخين	من قائل الشعر؟ ومن ذا الذي؟
والقلب باك من عذاب السنين	هذا أنا قد هدّ جسمي الأسى
تضيء أيامي بنار الحنين	ماذا تبقى لي سوى غاية
فمن خريف العمر ما تأملين	يا نفس إن كان ربيعي ضنى
شيئاً فماذا في الدجى تبصرين	يا مقلتي إن لم تري في الضحى
همس الهوى يشجي فهل تطربين	يا أذني لا اللحن يشجي ولا
فهل على الشوك إذن تخطرين	يا قدمي أدماك عشب الفلا
وفاتني في العيش طيب ولين	لا غرو إن جفّ معين الصبا

حقاً إننا أمام قصيدة هامسة مقروءة تشدّ القارئ إليها شداً بمضامينها الموجهة، ومآسيها المؤلمة، ولغتها الهادئة المحمّلة بالكثير من الأنات والآهات التي لا تحتاج إلى من يفسرها أو يترجمها، ولقد أشعل جذوة الهمس فيها قافيتها المقيدة، مع التزام الياء قبلها، وتكرار بعض الحروف مثل "يا" النداء، وكذا انتشار حروف المد، هذا بالإضافة إلى مضمونها الهامس الحزين.

ومن القصائد الهامسة التي انبعثت من قريحة قد أذكأها الألم، وأبجّ صوتها

أُنِئِنَّ التَّحَسُّرَ واللُّوْعَةَ قَصِيْدَةً عَبْدُ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ^(١) المَوسُومَةَ بِـ "أَسْرَجَتْ بَيْتِي"
وفِيهَا يَقُولُ^(٢) :

أَسْرَجَتْ بَيْتِي قَنْدِيلًا فَقَنْدِيلًا وَقُلْتُ: يَا عَيْنُ مَا لِلنُّورِ قَدْ نِيلًا !
مَا عَادَ مُنْدَفِقًا بَلْ صَارَ مُرْتَعِشًا كَأَنَّمَا هُوَ بَعْدَ الْأَهْلِ قَدْ عِيلًا
وَرُحْتُ أُدْفِنُ مَنْ هَمِي وَمِنْ وَجَعِي عَلَى هِيَائِكِ لَيْلٌ بَاتَ مَسْلُولا
... إِلَى أَنْ قَالَ :

لَيْلٌ تَطَاوَلَ مِنْ هَمٍّ أَضَاجِعُهُ مَا كَانَ قَبْلَ أَثِيرًا صَارَ مَمْلُولا
حَتَّى الْقِرَاءَةِ، وَهِيَ النَّبْضُ فِي خُلْدِي مَا عَادَ رَوْنَقُهَا يَسُوءُ مَثَاقِيلًا
قال الشاعر هذه القصيدة بعد أن عاد إلى منزله وحيداً فريداً، مودعاً أسرته
بمن فيهم زوجته، حيث عضته بأنيابها الهموم، وغشيته الوحشة، وأثقله الأرق والقلق
فما كان منه إلا أن فزع إلى قناديل المنزل فأضاءها علّها أن تضيء له ما اسودّ من
حياته، وأظلم من أحاسيسه ومشاعره، غير أن المحاولة باءت بالفشل، فلم تنفع
القناديل غلته، ولم ترو ظمأه، ولم تطفئ لهيب شوقه إلى أحبائه وخلانه، وهم من
هم أولاده وأم أولاده ١.

"كان إحساس الشاعر شديداً بهذه الغربة المسيطرة على كيانه، تلك الغربة
القاهرة المفاجئة التي أفقدته مذاق الحياة ، وطعم الراحة ، وباعدت بينه وبين

(١) عبد الله بن عبد العزيز بن زامل بن إدريس (١٣٤٩هـ - ...) . تخرج في كلية الشريعة واللغة
العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٣٧٦هـ، وتتنقل في عدد من الوظائف
التعليمية وغيرها، وهو شاعر كاتب مجيد له مشاركات عدة في المناسبات العلمية والأدبية
المختلفة. انظر : في زورقي (صفحة الغلاف)، دليل الكتاب والكاتبات : ٤١، ٤٢ .

(٢) إبحار بلا ماء . شعر عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس - ط ١ - الرياض : دار إشبيلية ،
١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص ٢٤ ، ٢٥ .

أحبابه إلى حين ، فقد حاول التخلص منها ، وزحزحتها قليلاً عن خواطره ، فأخذ وهو الشاعر يشجو بهومومه وأوجاعه، ويُلقِي بها على صفحات وهياكل الليل^(١).
ويستبد الألم بالقرشي فينطلق معبراً عما ينتابه منه في قصيدة عنوانها "ألم" وفيها يقول^(٢) :

إِنِّي نَهَلْتُ مِنْ عَصَاةِ الْأَلَمِ
نَهَلْتُ حَتَّى عَقَنْتِي النَّدَمُ
ثَمَلْتُ حَتَّى لَمْ أَعُدْ
أَسْتَشْعِرُ الْوَجُودَ
وَلَفَنْتِي فِي رَكْبِهِ الْفَرَاغُ وَالْعَدَمُ
وَجَفَّ فِي قِيَارَتِي
اللَّحْنُ وَالنَّشِيدُ
فَلَا تَقُولُوا : أَيْنَ أَنْتَ ؟
إِنَّنِّي شَهِيدُ
لَا تَسْأَلُوا ضَحِيَّةَ الْأَلَمِ

لقد كان لإحساس الشاعر بالألم والغربة أثره في صياغة القصيدة على هذا النحو من الوزن القصير، والإيقاع الهادئ، مما كان له الأثر أيضاً في إكساب النص حظاً وافراً من الهمس الذي أنا بصدد الحديث عنه.

(١) عبد الله بن إدريس (شاعراً وناقداً) . د. محمد الصادق عفيفي - ٠ ط ١ - المدينة المنورة :

نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ١٣٠ .

(٢) ديوان حسن عبد الله القرشي : ٢ / ٣٦١ .

ومثل هذا نجده في قصيدة عبد الله الفيصل "غربة الروح" التي يقول فيها^(١):

غُرْبَتِي غُرْبَةُ الْمَشَاعِرِ وَالرُّوْ	حِ وَإِنْ عَشْتُ بَيْنَ أَهْلِي وَصَحْبِي
أَبْدًا أَنْشُدُ الْهِنَاءَ فَأَلْقَى	حَيْثَمَا رُحْتُ شِقْوَةَ الْحَسِّ جَنْبِي
أَزْرَعُ الْوُدَّ وَالْحَنَانَ وَأَسْقِي	وَاحَةَ الْحُبِّ مِنْ رَوَافِدِ قَلْبِي
فَأَرَى الشَّكَّ وَالْجُحُودَ وَأَلْقَى	نَاتَاتِ الْأَشْوَاكِ تَمَلًّا دَرَبِي
شَاخَ صَبْرِي عَلَى الْجِرَاحِ وَسَالَتْ	أَدْمَعُ عَنْ مَنَاحَةِ الصَّبْرِ تَنْبِي
فَحَبَسْتُ الْأَنْيْنَ عَنْ مَسْمَعِ النَّا	سِ؛ لئَلَّا يَطْوُلَ عَذْلِي وَعَتْبِي
غَيْرَ أَنِّي أَحْسَنَ بِالْمُرِّيْزْدَا	دُ، وَيَخْتَالُ مَارِدُ الْيَأْسِ قَرَبِي
فَشَكَوْتُ الزَّمَانَ وَالنَّاسَ لِلدَّ	هِ ؛ لِأَنَّ الرَّحْمَنَ لَا النَّاسَ حَسْبِي

لقد عاش الشاعر حالة اغترابٍ شديدة بين أهله وذويه، إنها غربة الإحساس والشعور كما يقول، وتجرّع بسبب ذلك أبلغ الألم وأقساه، فكانت هذه القصيدة وكثير غيرها "والألم دائماً هو النبع الثري الذي يُغذّي تجربة الشاعر بأحلى الأنغام، وبأجمل صور الإلهام"^(٢)؛ مما يثري ظاهرة الهمس في النص.

وفي قصيدة "غربة" لأحمد قنديل، تبدو ظاهرة الهمس واضحة في مضامين القصيدة وشكلها الفني، حيث يقول^(٣):

فِيكَ يَا غُرْفَتِي الصَّغِيرَةَ أَخْلُو	فِي سَكُونِ اللَّيْلِ الطَّوِيلِ بِنَفْسِي
وَلِيكَ أَرَى الْحَيَاةَ حَيَاةً	غَيْرَ تِلْكَ الَّتِي تَلَايَسُ حِسِّي

(١) حديث قلب . شعر عبد الله الفيصل بن عبد العزيز آل سعود - جدة : دار الأصفهاني ، د . ت ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢) مدارس الشعر الحديث : ٣١٤ .

(٣) أصداء . شعر أحمد قنديل - لبنان : مطابع نصار ، ١٢٧٠ هـ / ١٩٥١ م ، ص : ٦٨ ، ٧٠ .

غير التي لغيري حياةً ولنفسي الممات لو كان يُنسي

...

وكان الحياة للناس دوني أمل ما ظفرت منه بلمس
أمل في المنى تجد وتبلى فاتني فاستعصت عنه بياسي
وكان الأحياء في العين ظل من شخوص صعر الهياكل شمس
وكانني والناس حولي لاهون فريد عنهم غريب بجنسي
غربة تكرب الفؤاد وتشقيه إلى أن يقر فيك ويمسي

نقرأ قصيدة القنديل آنفة الذكر فنتذكر لأول وهلة سينية البحتري الشهيرة، وما اكتف الشاعر أثناء إبداعه لها من هم وأسى، وتكرر المناسبة في موقف شعري جديد ؛ ليحدثنا الشاعر عن غريته وما كان يعانيه بسببها من هموم وغموم، وتلك الحالة النفسية، وذلك الطابع الشعوري الحزين قد حاول الشاعر أن يزيحه عن نفسه، وينفّس عنها بقصيدة يشع الهمس من جوانبها المختلفة، وتمثل قافيتها السين أبرز منابع الهمس، فقد هيمن صوت السين المهموس هنا فكشف عن عميق أحزان الشاعر وثرأ همسه.

٣ - الخوف من المواجهة :

قد يلج على الشاعر معنى من المعاني فلا يجد الجرأة الكاملة على البوح به، وإعلانه. وفي الوقت نفسه قد لا يجد مسوغاً لإسراره وكتمانه، وهنا يلجأ إلى محادثة نفسه ؛ لينطلق من ذلك إلى التحدث به حديثاً هامساً، وفي ذلك نجد "الرمز" ممثلاً بدرجة كبيرة، وهذا أمر طبيعي، لا يجد الشاعر له نجوة منه، فالبوح عليه شاق، والكتمان أشق، والخيار صعب، والأمران أحلاهما مرّ.

والحق يقال : إن "عدم مجابهة الواقع، والخوف من التبعات الجسام، والحساسية

المُفْرِطَة، والعاطفة المحتدِمة من سمات الرومانسيين^(١)، وهي في الوقت نفسه مما يدعو الأديب إلى أن يهمس بمشاعره وأحاسيسه، وإلى أن يتمهّل في البوح بمكنونات نفسه، وأن يطرح عنه جانباً الجهر المجلجل، والإيقاع الصاخب، والصوت الهادر. غير أن الباحث في ذلك لا يستطيع الادّعاء بأن هذه القصيدة أو تلك قيلت في ظروف كهذه ما لم يصرّح الشاعر بذلك، ويعترف في صراحة بالموقف الذي حَزَبَهُ عند إنشاء نصه والمعاناة التي عاشها بأحاسيسه ومشاعره وعاطفته أيضاً، مما يُعدّ من مواقف المواجهة بين الشاعر وبين قوة خارجة عنه. ولذا من الصعب جداً الاستشهاد على هذه الفكرة ببعض الأشعار بمحض الظن، والحدس، والتخمين.

٤ - الحزن :

تمرّ بالشاعر ظروف مختلفة، من شأنها أن تبعث في نفسه الأسى واللوعة، ويعيش معاناة حقّة ؛ فيحزن لذلك أشد الحزن، ويتألم غاية الألم، ويلجأ إلى قريحته لتسغفه بالتعبير عن مشاعره وأحاسيسه، وهنا تجود القريحة بشعر قد بُحّ صوته أشبه ما يكون بحنين الثكلى، وأنة المكلوم.

وتسيطر على هذا النوع من الشعر عاطفة حزن قوية صادقة، وحينئذ نصبح أمام شعر هامس ما أن يستقر في الأذن حتى يتفاعل به الوجدان، ويتجاوب معه القلب. وقد يحدث الهمس نتيجة استجابة سلبية، وتأثر بالغ بموقف حزين، يعيشه الشاعر، فينهار أمامه، ولا يجد قدرة على المقاومة، فيتحدث إلى نفسه بما يُشبه الهديان، مطلقاً لمشاعره العنان في التدفّق والتفاعل مع ما تمليه عليه تجربته، وتلجّ به معاناته.

(١) التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث . د. صابر عبد الدايم - ط ١ - القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ١١٧.

والشاعر حين لا يملك السيطرة على ما حَزَبَهُ من موقف أيا كان هذا الموقف يلجأً للتعبير عن ذلك بألفاظ ذات أصوات مهموسة، مصحوبة حروفها عند النطق بالنفس، ومن هنا جاء تعريف الأصوات المهموسة بأنها "كل حرف أضعف الاعتماد عليه في موضعه حتى جرى معه النفس..."^(١).

والقلق، والتبرّم، والحزن، كلها "أحاسيس تغلب على نتاج الشعراء في الخليج على اختلاف مواقعهم، بحيث أصبح ظاهرة نفسية في شعر الخليج..."^(٢) بعامة، وليست وقفاً على الشعراء السعوديين ؛ ذلك أن البواعث على ذلك قد تكاد متشابهة. وترداد درجة الهمس حسب مستوى الحالة النفسية للمُبدع حزناً وألماً، أو مرحاً وفرحاً.

ويظهر ذلك كثيراً في بكاء الشعراء شبابهم، وتألمهم من انصرام العمر، والتخطي إلى مرحلة المشيب، تلك المرحلة من عمر الإنسان التي يفقد فيها قسطاً كبيراً من قوته، وبهائه ونضارته ؛ فتلجّ به الذكريات إلى شبابه الراحل وقد كان سعيداً مليئاً بالأمال والأوطار.

من ذلك قصيدة "الخريف المبكر" للشاعر سعد البواردي التي يقول فيها^(٣) :

يا خريف الزمان أين شبابي ! إن عهد الشباب يبكي شبابي
كيف جف الصبا وما زلت غرساً يزهر الورْدُ في خدود رحابي
كيف مات النشيدُ في وتري الطف لـ سوى أنـةٍ بمزمار صابي

- (١) التمثيل الصوتي للمعاني: دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي. د. حسني عبد الجليل يوسف - ط ١ - القاهرة : الدار الثقافية للنشر ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، ص ١٨ ، ١٩ .
- (٢) تطور الشعر العربي الحديث في الخليج : ٧٠ .
- (٣) أغنية العودة : ١١٢ .

وَعُصُونُ مِنَ الرِّبِيعِ تَعَرَّتْ وَإِنَاءٌ مُهَشَّمُ الْجِسْمِ كَابِي
يَا خَرِيفَ الزَّمَانِ يَا أَيُّهَا الْقَاسِي تَحَامَلْتَ فَاضْطَهَدْتَ رِكَابِي
كَانَ لِي زُورْقٌ عَلَى الْمَوْجِ يَخْتَا لُفْتُي الدَّبِيبُ غَضَّ الْإِهَابِ
تَسْبَحُ الْأُمْنِيَّاتُ فِي رَاحَتِيهِ حَيْثُ تَجْرِي رَفِيقَةً نَحْوَ بَابِي
كَانَ لِي بَسْمَةٌ تَدَاعِبُ أَحْلَامِي وَتُرَوِّي الْجَفَافَ حُلُورُضَابِي
كَانَ لِي نَعْمَةٌ فَأَخْرَسَهَا الدَّهْرُ وَأَلْقَى لِحُونَهَا لَاكْتِنَابِ
كَانَ لِي جَنَّةٌ فَجَنَّتْ عَوَادِيهَا عَلَيْهَا وَكُفَّنَتْ فِي التَّرَابِ

إن الشاعر يتباكى على عمره المنصرم، ولديه القناعة الكاملة بأن ليس له دعوى على أحد في ذلك ، فليس أمامه إلا أن يحدث نفسه، ويهمس إليها بمشاعره وما حاق به من الإحساس المرهف الحزين، فكانت هذه القصيدة الهامسة بموضوعها من التألم والتحسّر على مرحلة عمرية كانت عامرة بالصحة والفتوة، وباعثة على التفاؤل وانتظار ما يلدّ ويطيب، كما كانت هامسة بمفرداتها ذات الدلالات الإيحائية غير المباشرة من مثل قوله : (خريف الزّمان، عهد الشّباب يبكي شبابي، جفّ الصّبّا، حدود رحابي، تسبحُ الأمنياتُ في راحتيه، لي بَسْمَةٌ تَدَاعِبُ أَحْلَامِي...) .

كما يظهر الحزن - غالباً - في قصائد الرثاء؛ ذلك أن الشعراء يقولونها وقلوبهم محترقة^(١)، وأشدّه ما كان لقريب أو حبيب حيث تكون العاطفة أصدق، والمعاناة أحق. والشاعر في موقف الرثاء يصير أسير تجربة شعورية خاصة ليس له فيها على

(١) انظر : العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي : تصحيح أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري - القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٧٥هـ : ٢٢٨/٣، والبيان والتبيين للجاحظ: تحقيق عبدالسلام محمد هارون - ٥ طه - القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م : ٣٢٠/٢ .

أحد سبيل، ومبتغاه الأول هو التنفيس عن نفسه، والتفريغ من همّه، والتخفيف من مصابه، ولذا يشتد بكاؤه ونحيبه، ويزداد أنينه وحنينه، وفي هذه الأثناء تجود قريحته بما يعبر عن حزنه وشجوه بلغة هامسة أحياناً، ومضامين وإيقاعات هامسة أيضاً. ومثل ذلك نجده في قصيدة عبد الله بن صالح الوشمي^(١) "ما أملاه الشوق" التي أنشدتها في ندوة التاريخ الإسلامي حين دُعي - كما يقول - لإلقاء بحث قدمه والده - رحمه الله - للندوة ولكن الأجل وافاه قبل عقدها، ومنها قوله^(٢) :

ما زلتُ أحبو في عباءاته	أخطُ في أوراقه أحرفي
يحملني موجي إلى شطئه	يداي في البحرهما مجدفي
مهاجراً أخرج من موطني	لا البحر من خلفي ولا النار في
مستعذباً أكتب عن رحلتي	وأنثر الورد على معزفي
راحلة نحوك يا والدي	كل المعالي لثراك الوفي
أوراق تاريخك ها عطرها	يلهمني شعري فلم لا أفي!
تسكن لو يدري مصابيحُه	في أعيني والنجم في معظفي
ألمحه صحواً وفي خاطري	يلمحه قلبي وفي متحففي
حيث المعاني بعد مطمورة	حيث الجنى بعد لم يُقطف

هذه القصيدة كما جاء في مناسبتها بخط الشاعر صدى لموقف أمض الشاعر وأحزنه، ذلك الموقف هو فقدته أباه.

- (١) (١٣٩٥هـ - ...) . عبد الله بن صالح بن سليمان الوشمي، يعمل في وظيفة "محاضر" في كلية اللغة العربية في الرياض. له بعض المشاركات الإذاعية والصحفية. حاز على جائزة الأمير فيصل بن فهد للإبداع الشعري/ المركز الأول . نشر عدداً من قصائده ومقالاته في الصحف والمجلات المحلية والعربية، وقد صدر له ديوان "البحر والمرأة العاصفة" (تعريف بخط الشاعر).
- (٢) (البحر والمرأة العاصفة . شعر عبد الله بن صالح الوشمي - ط١ - بريدة : نادي القصيم الأدبي ، ١٤٢٣ = ٢٠٠٢م، ص ٥٥.

وقد عاودت الشاعر ذكرى هذا الفقد وهو يلقي نيابة عن أبيه بحثاً كتبته بقلمه، وحملته أمله، وقد فاضت هذه القصيدة بالشاعر والأحاسيس الصادقة التي جادت بها قريحة ابن شابٍ بارٍّ شاعر، مخلص في حب والده.

حقاً لم يكن الموقف موقف مباهاة أو افتخار بقدر ما هو موقف احترام، وتواضع، وعاطفة مشبوبة صادقة مبعثها قلب صادق صدوق في حبه ووفائه؛ ومن أجل ذلك جاءت القصيدة هامسة بأنّة الحزن الممزوج بالأسى، كما جاءت هامسة أيضاً بوزنها السريع.

وتتعدد صور الحزن، كما تتعدد أسبابه وبواعثه باختلاف طبائع الحياة، وسعة مداها وكثرة شؤونها وأحوالها، وتختلف مواقف الشعراء من ذلك كله، غير أنها في الجملة تتفق على التأثر البالغ بصور الحزن المختلفة، والمشاركة الوجدانية للمحزونين والمهمومين والمكروبين، وهذا التفاعل وتلك المشاركة استجابة طبيعية لدى الشعراء؛ لما يملكونه من الحس المرهف، والشعور الدقيق، والعاطفة الإنسانية الرقيقة.

ولذا وجدنا من الشعراء من يصور حياة البائسين، أو المنكوبين، أو الضعفاء والفقراء والمساكين والمرضى، وغيرهم من أصناف البشر، وطبقات المجتمع الذين انطبعت حياتهم بطابع الحزن والأسى، وذلك بقصائد تفيض أسى وحسرة، وألماً وحزناً.

ومن ذلك قصيدة عبد الله بن صالح العثيمين^(١) "مكبوت" التي يقول فيها^(٢):

(١) (١٣٥٦هـ - ...). ولد في عيزة بمنطقة القصيم، وفيها تلقى تعليمه من الابتدائي إلى الثانوي، وواصل تعليمه الجامعي في الرياض، وأتمّ تعليمه العالي في الخارج، حيث نال درجة الدكتوراه في التاريخ من بريطانيا، بعدها عمل في جامعة الملك سعود في مجال تخصصه، وفي عام ١٤٠٧هـ اختير أميناً عاماً لجائزة الملك فيصل العالمية. له عدد من البحوث والدراسات التاريخية، وبعض الدواوين الشعرية. انظر: دليل الكتاب والكاتبات: ١٨٤، شعراء من القصيم: ٩٩ فما بعدها.

(٢) عودة الغائب. شعر عبد الله بن صالح العثيمين - الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر، ص ١٢، ١٣.

وتَظْفُرُ في عينه دَمْعَةٌ تُصَوِّرُ ألامَهُ الدامِيه
وتَمسَحُها كَفُّهُ خِلْسَةً فتَظْفُرُ في إثرها ثانيه
يُحاوِلُ أن تستكنَ الدَموع وتَأبى محاجرُهُ القانيه
وفي صدره جَذوةٌ من لَهيب تُفَجِّرُها رُوحُهُ الفانيه
فتَصعدُ من نارها آهَةٌ ويُطلِقُها مرَّةً قاسِيه
أماَت زُهور الشِبابِ النَضِير وقصَّتْ براعمَهُ الناميهِ؟
وهل كان لولا الأَسى يكتويه لِتَذوي طَلْعَتُهُ الزاهِيه
لك الله من مُهْجَةٍ خِيَمَتْ على ساحتها ظُلْمَةٌ داجِيه
فأَمَسْتُ وما النَّبْضُ إلا لَظَى تُحَرِّقُ أضلاعَهُ حامِيه
ونفسٌ تغلغلَ فيها الشقاءُ فأوردها بُؤْرَةَ الهاويهِ

الشاعر في قصيدته الآنفة يصوِّر مشاعر شخص يعاني من القهر والكبت واليأس، كما يصور حالته الشاخصة أمام أعين الناظرين، قدموعه منهمة، يكفكفها بيديه اللتين تعبتا من كثرة ما تلقّفتا من الدموع المتدفقة الغزيرة، وصدره يغلي كالمرجل مما يضطرم بداخله من لهيب الألم والحرقة، لقد قضى ذلك على كل شيء في حياته، وطبعها بطابع أسود ذاوٍ بئيس، فجاءت قصيدة الشاعر بأئسة كبؤس موضوعها المكبوت، حزينه كحزنه، هامسة كهمسه بأوجاعه وآلامه.

المبحث الثالث : مظاهر الهمس في الشعر السعودي :

نتيجة لما ذكرته من أسباب داخلية وخارجية فقد لمسنا - بوضوح - ظاهرة الهمس تطفئ على جزء من الإبداع الشعري السعودي الحديث، ويمكننا أن نستوضح ذلك جيداً من بعض السمات الشكلية والمضمونية التي اتسم بها ذلك الإبداع في جزء مهم منه.

ومن أبرز ما تجلّت فيه الظاهرة الآتي :

أولاً : التلاؤم بين الفكرة والموسيقى :

إن العلاقة بين الموضوع الشعري وبين التشكيل أو التنويع الصوتي علاقة وثقى؛ ذلك لأن "الشاعر يستخدم الأصوات التي تتلاءم بصورة ما مع الجو النفسي والشعوري للقصيدة، كما يستخدم هذه الأصوات ليعبّر من خلاله^(١) عن فكرة أو معنى، وبهذا يمكن أن نسميه الصدى الصوتي للمعنى، أو التمثيل الصوتي للمعنى سواء أكان ذلك عن قصد أو عن غير قصد"^(٢).

ومن هنا تبرز أهمية الموضوع الشعري في إضفاء نوع من الإيقاع، وإحداث لون من التناغم.

"والموسيقى ليست الوزن السليم، وإنما الموسيقى الحقّة هي موسيقى العواطف والخواطر، تلك التي تتواءم مع موضوع الشعر، وتتكيف معه"^(٣).

ومن هنا "... فليس الأمر إذاً أمر بحور وعروض، وإنما هي روح الشاعر ومقدرته على الملاءمة بين الحروف والكلمات والعبارات التي تثير النفس وتجعلها على استعداد للإحساس بما يصاحب هذه المعاني من موسيقى وإيقاع"^(٤).

ويمكننا أن نتصور ذلك متى ما عرفنا أن الوزن وهو عنصر أساس في إيقاع النص وموسيقاه "ليس صفة شكلية محضة من صفات الشعر، بل إنه يتعدى الشكل إلى المضمون، فيؤثّر في اختيار الشاعر للألفاظ، وتأليف هذه الألفاظ بعضها مع

(١) هكذا وردت في مصدرها ولعل الصواب من خلالها .

(٢) التمثيل الصوتي للمعاني : ٦٠ .

(٣) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث : ١٠٧ .

(٤) حول الشعر المهموس : ١٦ : ١٦ .

بعض، ويبعث في الكلمة العادية أو العبارة المألوفة روحاً جديدة، فإذا هي كأنما مستّها عصا سحرية قد حفلت بالإيحاء والظلال^(١).

"وشتان بين همس مبعثه الشجى وآخر مصدره الضعف، وفرق بين آهة الحزين وأنات المحتضر"^(٢).

وقد رأى بعض النقاد المحدثين أنه "لا يستطيع المستوى الصوتي للغة لأغراض أدبية أن يكون معزولاً عن معناه، فإن بنية المعنى ذاتها تنقاد للتحليل اللغوي..."^(٣). فلا غرابة إذن أن يجد الناظر في الشعر السعودي المهموس أن جزءاً كبيراً منه قد استحق هذه الصفة بما توافر فيه من تناسق وتلاؤم بين الإيقاع والفكرة التي يتضمنها النص.

فقد تآزرت الموسيقى مع الفكرة لتحقيق أجمل وصف لها، أشار إليه سبنسر بقوله : "إن خير الموسيقى ما تتمشى مع الأفكار وتتساق مع المعاني، وتتجاوب ألوان نغماتها ونبراتهما مع حالات النفس.

فالشاعر في احتياجه وغضبه وغيظه يكون تعبيره الموسيقي عالي النغمة وفي حزنه يكون مُنخَفِضَها، وفي تعجبه وفرحه وهدوئه واطمئنانه، تكون المسافات الصوتية قصيرة، وأما بثه وألمه فتكون مسافات الصوت طويلة وهكذا تسير النغمات حالات النفس كما تسير موضوع القصيد وفكرته"^(٤).

(١) النقد والبلاغة. د. مهدي علام وآخرين - مصر : الأميرية ، ١٩٧٥م، ص ٥٤.

(٢) حول الشعر المهموس : ١٦.

(٣) نظرية الأدب . رينيه ويليك، وأوستن وارن؛ ترجمة محيي الدين صبحي؛ مراجعة د. حسام الخطيب - ط ٣ - بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٥م، ص ١٨١.

(٤) الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث . مصطفى عبد اللطيف السحرتي - ط ٢ - جدة :

تهامة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١١٣.

وقد عبّر عن هذا أ. د. سعد أبو الرضا بقوله : "موسقة الفكرة " ويعني بها ' التلاؤم بين الفكرة المُعبّر عنها وموسيقيتها..."^(١).

وهذا التلاؤم في نظره وسيلة من وسائل الهمس وعنصر مهم من عناصره "وتُعدّ هذه الوسيلة امتداداً لأثر الرمزية في الشعر وتتصل بدور الموسيقى في جلاء الفكرة المتأوّلة عن طريق الإيحاء بها من خلال توظيف أشكال موسيقية قد تكون قرينة بمستويات شعورية مُعيّنة فإذا ما واكبتها الصياغة اللفظية كان ثمة إحياء بالفكرة يبعد عن الرتابة والمباشرة برغم ما قد يكون من تقليدية في الشكل الموسيقي"^(٢).

وتُعد قصيدة مقبل العيسى الموسومة بـ "دعوة" نموذجاً واضحاً على تلاؤم المضمون مع الإيقاع والجرس الموسيقي الذي بدوره يوفرّ قدراً كبيراً من الهمس الذي هو موضوعنا في هذه الدراسة.

ولنقف مع الشاعر في قصيدته المذكورة التي يقول فيها^(٣):

فَلِمَاذَا أَعِيشُ مُنْطَوِيّاً	أَجْتَرُّ هُمُومِي وَشُجُونِي
فَالْأَرْضُ تُدَوِّرُ مِنْ أَزَلٍ	بُوجُودِي حَتْمًا وَبِدُونِي
عُصْفُورِي الْأَخْضَرُ مَنْطِقَهُ	أَغْلَى مِنْ كَنْزٍ مَدْفُونٍ
وَيَعِيشُ اللَّحْظَةَ فِي مَرَحٍ	مَا بَيْنَ ظِلَالٍ وَغُصُونٍ
بِفُتُونٍ طَاغٍ يُمَطِّرُنِي	وَبِرَاءَةِ قَلْبٍ يَهْجُونِي

(١) الأدب الإسلامي قضية وبناء . د. سعد أبو الرضا - جدة : عالم المعرفة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٩١.

(٢) السابق : ٩١ ، ٩٢.

(٣) غربة الروح . شعر مقبل عبد العزيز العيسى، د. ن - ط ١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٧١، ٧٢.

عصفورٌ لم يعرف يوماً طَعماً لِشقاءٍ ملعون
يحيا بِغرامٍ للدُّنيا بِحرارة شوقٍ وجُنون

يبدو الشاعر من خلال أبيات قصيدته تلك تائراً على طبيعته المنطوية على الهموم والغموم، لكن ثورته تلك كانت مصحوبة بهدوء وتعقل وأمل، مع هروب إلى الطبيعة من حوله ؛ ليجد في عصفورها الصّدّاح سلوته من كل همّ وغمّ. وقد انعكست خواطر الشاعر وأحاسيسه الذاتية تلك بظلالها الهامسة على قصيدته مثل ما انعكس وزنها المختار؛ ليتشكّل منهما نصّ يغلب عليه الهمس أكثر من نبرة الجهر.

"أما كيف واكبّت الصياغة الموسيقى ليتضاعف الإحساس بهمسهِ ورؤاه، فلعلنا نلاحظ أن مع النغمات القصيرة السريعة المنطلقة في قصيدته... كان توظيف الشاعر للعصفور رمزاً للانطلاق وخفة الحركة وما يرتثيه الشاعر من رغبة في الإقبال على الحياة، وجعله هذا العصفور هو الذي يدعوه إلى ذلك الإقبال، ومن ثمّ فقد أخذ يعكس عليه تطلّعاته ورغائبه، بل ويقارن بين انطلاق العصفور من ناحية ومركزه كإنسان في هذا الوجود، ومدى أثره فيه من ناحية أخرى..."^(١). وإلى جانب قصيدة مقبل العيسى الآتفة الذكر نجد قصيدة الدكتور عبد الرحمن ابن صالح العشماوي الموسومة بـ "إلهي"، وفيها يقول^(٢) :

أَعْنَكَ وَفِيكَ الْمُنَى أَعْرَضُ وَأَنْتَ فَوَّادِي الَّذِي يَنْبُضُ
وَأَنْتَ رَجَائِي، وَأَنْتَ الْأَنْيَسُ إِذَا عَجَزَتْ مُقْلَتِي تَغْمِضُ

(١) الأدب الإسلامي قضية وبناء : ٩٣، ٩٤.

(٢) حوار فوق شرع الزمن . شعر د. عبد الرحمن بن صالح العشماوي - ط ١ - الرياض :

مكتبة الأديب ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، ص ٧.

إذا ما ذكرتك يا خالقي رأيت المنى قبلي تركضُ
إلهي، وأعمارنا في يديك فتفسحُ إن شئت أو تقبضُ
عبادك ما بين ذي خبرةٍ وعلمٍ، ولكنه معرضُ
وما بين ذي همةٍ سعيه حثيثٌ ولكنه معرضُ
إلهي علينا ذنوبٌ عراضٌ وعفوك يا خالقي أعرضُ
أجرنا إلهي من النائبات فإننا بغيرك لا ننهضُ

... إلى آخر القصيدة.

في هذه القصيدة يناجي الشاعر ربّه في ذلّة وخضوع وخنوع، مبتهلاً إليه، شاكراً له، ومثيلاً عليه بما هو أهل له.

وعلى الرغم مما في هذه القصيدة من ضمائر الخطاب، وأسلوب النداء المتكرّر فإنها لم تخرج في إيقاعها ومضمونها عن دائرة الشعر المهموس : وذلك بما وفّره لها مبدعها من تلاؤم وتناسق بين موضوعها الرئيس وهو الدعاء والمناجاة، وبين إيقاعها المتقارب ذي التفعيلة المكرّرة، ومثل هذا التآزر والتلاحم بين الفكرة والموسيقى في هذا النص من شأنه أن يمنح النص قدراً كبيراً من الهدوء والطمأنينة مثلما تمنحه سكينة النفس وهدوء البال اللذين يغشيان المرء في حال مناجاته ربّه، والإحساس بالعيش بأمان في جنبه.

ثانياً: الاعتماد على الإيحاء :

كثير من ذلك الشعر الذي نصفه بالشعر المهموس يعتمد على الإيحاء والتلميح والتلويح أكثر من اعتماده على التصريح والمباشرة : "فقد خفّف الإيحاء الرمزي الذي أصبحت المفردة متلبسة به من الاعتماد على صخب الأداء والفرقة الخطابية

الجاهزة ؛ حيث استعاضت المفردة عن ذلك بما اكتنز فيها من عمق وبُعد الدلالة، ومن ثمّ الحاجة إلى تلقيها في هدوء ودعة^(١).

وذلك - من دون شك - أثر من آثار الرومانسية، فالرومانسي "يهرب من الحوافي الصلبة، ويفضّل الشكل الإيحائي محاولاً أن يعيد لنا الشعور الذي يستكن في نفسه، ومن أجل ذلك يورد عبارات لا تهم كثيراً في بناء الشكل العام"^(٢). كما أنه مظهر من مظاهر الرمز ؛ فالرمزي لا يكاد يفصح عن مراده ومبتغاه، فغالباً ما يهرب إلى التعبير عن أفكاره ورؤاه من خلف الستار والأقنعة.

وتلك هي اللغة الشعرية التي هي في حقيقتها "أداة، ونسبتها للشاعر كنسبة الألوان للرسّام، والفنان هو الذي يملك القدرة على جعل هذه الأداة تنطق عن خلجات نفسه، ومكونات ضميره، فيعبّر لنا عن شعوره وأحاسيسه بالصور التي يختارها لتأدية معانيه إلينا، وتأثيرها فينا، وقيمة الشاعر موكولة لقدرته في هذا الشأن بواسطة هذه الأدوات التي يصطنعها لذلك"^(٣).

إن من طبيعة لغة الشعر أنها "لغة مجازية تلمح إلى المعنى تلميحاً، وترمز إليه رمزاً، وهي لغة غامضة تحتمل التأويل والتجديد في الزمان والمكان وحسب ثقافة القارئ"^(٤). فالإيحاء عنصر مهم وضروري في اللغة الشعرية التي يُراد منها المتعة والتأثير، "... فانسجام الألفاظ وحدها، وما يستتر وراء هذا الانسجام ن سر خفي هو القوة التي تلهم القارئ المعنى الذي يُضمّره الشاعر. فالشعر هو تنسيق للألفاظ

(١) الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينيات الهجرية : ١٧٦ / ٢.

(٢) فن الشعر . د. إحسان عباس - ط ٢ - بيروت : دار الثقافة، ١٩٥٩م : ٤٢.

(٣) تطوّر الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج العربي : ٧١.

(٤) الأدب (أنواع ومذاهب) . د. فايز ترحيبي - ط ٢ - بيروت : دار النخيل للطباعة ، ١٩٩٩م.

بطريقة تركّز فيها الإلهام، وتمزجها به حتى إذا ما خاطبت النفوس نقلته إليهم عن طريق الإيحاء لا الإقناع" (١).

وإذا فَقَدَت هذه اللغة بألفاظها وتراكيبها عنصر الإيحاء "هَبَطَت دلالتها الفنية، وأصبحت لغة إيصاليّة موضوعيّة أكثر منها تخيليّة أو إيحائيّة فنية، وربما يصحّ أن توصف عند ذلك بالثرثريّة والتقريّريّة والمباشرة" (٢).

والأدب العربي على مدى تاريخه الطويل لم يعدم الكلمات ذات الإيحاء البعيد والقريب مع التفاوت في حظه منها من جيل إلى جيل ومن شاعر إلى آخر.

وقد أفاد الشعراء وخاصة في عصرنا الحديث " إفادة إيحائية، أتت من وعيهم لخصائص أصوات الكلمات وعياً يكاد يكون لا شعورياً ؛ لعمق دراستهم اللغوية ، ورهف إحساسهم ، وإنما كان هذا الوعي لا شعورياً ؛ لأن خصائص الكلمات (من هذه الناحية الجمالية) لم تُدرس في العربية دراسة منهجيّة يُعتدّ بها، على حين يُعنى بهذه الدراسة النّقاد في الغرب ، ولها في نتاج كتّابهم وشُعرائهم أثر عظيم" (٣).

ومن أجل حاجة اللغة الماسة إلى الإيحاء فإننا لا نعدم الهمس وهو من أهم الوسائل إلى ذلك عند كثير من الشعراء السعوديين على اختلاف فيما بينهم في مستوى تمثّل هذه الظاهرة، ومدى شيوعها عند كل منهم.

(١) الينبوع : أحمد زكي أبو شادي - ط ١ ، ١٩٣٤م ، ص ١٣٧ .

(٢) لغة الشعر العراقي المعاصر . عمران خضير الكبيسي - ط ١ - الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٨٢م ، ص ٢٦ .

(٣) النقد الأدبي الحديث . د. محمد غنيمي هلال - القاهرة : دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٦م ، ص ٤٣٨ .

وتُعدّ قصيدة عبد الله بن إدريس الموسومة بـ "معدّبتيّ" من القصائد ذات الإيحاء القويّ، والتعبير المكتنز بالدلالات التعبيرية غير المباشرة مع هدوء في الجرس، وطمأنينة في الإيقاع.

ولكي نقف على حقيقة ما أقول ، فإنه من الضروري إيراد هذه القصيدة كاملة؛ لتكتمل الصورة أمام القارئ فيشاركني الحكم أو يخالفني عن بيّنة.

يقول الشاعر ابن إدريس^(١):

وخذاك كالوردة الباسمه	بعينيك مجلى الرؤى الحالمه
جمالك ذا النّفحة الفاغمه	وبينهما قلبي المجتلي
ليفلت من قبضة صارمه	يجول كطير مهيض الجناح
وأنت على بابه قائمه!	وأنى له فك هذا الأسار
وأسرتي بالمنى الحالمه	معدّبتيّ بالجمال الطّريّ
شبابي وحيرتي الواجمه	وجارحة كبريائي ارحمي
وأنت بهجرِك لي ظالمه	أنا بك دون العذارى معنّى
وأتبعته عيني السّاجمه	وقفت عليك الفؤاد الجريح
بشيء سوى النّشوة الهائمه	وما خلّطني قد بخلت عليك
تمرّغه الفتنه العارمه	وذاك لأنّي ضنين بحبي
يرنح عطفك يا ناعمه!	لماذا الوجوم وماء الشباب
وأنت في ظلّه نائمه	ترى خفت أن الوصال يزول
إذا ما المنايا دنت هاجمه	وأنا سنطوي سجلّ الوداد

(١) في زورقي . شعر عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس - الرياض : دار عالم الكتب، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ٢٩١ - ٢٩٤ .

ألا فأنعمي إن هذا الوداد سيبقى إلى دارنا القادمة
فما الحب إلا انتشاء الوجود وطهر لأرواحه الآثمه
وما الحب إلا ابتسام الحياة وإلا ابتلاق المنى الناعمة

لنقف أمام قصيدة ابن إدريس هذه لننتصّر مدى المعاناة الحقّة، وعمق التجربة التي لاقاها في سبيل حبّه وولعه بتلك المعبّدة.

لقد استطاع الشاعر أن يرسم لنا لوحاتٍ منظورة ومقروءة ذات دلالات وأبعاد وألوان مضمونية ونفسية، وأن يهمس لنا بها في هدوء وسكينة مع البعد كل البعد عن الضجيج والجلبة.

ففي قول الشاعر : "بعينك مجلى الرّوى الحالمه" وقوله : "معدّبتى بالجمال" وقوله : "وأسرتى بالمنى الحالمه" وكذا قوله : "وجارحة كبريائي" في تلك التعبيرات أنواع من الأبعاد الدلالية المختلفة منها المباشر القريب ومنها الموحى البعيد " كما حملت كلمات الشاعر كثيراً من الألوان النفسية القانية (الواجمه، الظالمه، العارمه، الآثمه) وهي ألوان توحى بالأسى نتيجة للصراع القائم بين جنبات نفسه وما يحمله من قلق يؤج بين حنايا وجدانه..."^(١).

ولعبد العزيز الرفاعي^(٢) - رحمه الله - قصيدة تذوب عذوبة ورقة، وهي قصيدته الموسومة بـ "مع الأغصان" وفيها يقول^(٣) :

(١) عبد الله بن إدريس (شاعراً ناقدًا) : ١٢٨ .

(٢) (١٣٤٢هـ - ١٤١٤هـ) . وُلِدَ في أملج، ونشأ في مكة المكرمة، وعمل في عدد من الوظائف الحكومية كان آخرها مستشاراً في الديوان الملكي، كما اشترك في كثير من المؤتمرات والندوات، والمجالس واللجان والمجامع العلمية، وهو كاتب شاعر . له كثير من المقالات والدراسات، وبعض الأشعار. انظر : معجم الأدباء والكتاب : ١ / ١٣٣، ١٣٤ .

(٣) مجلة الأديب -٠ بيروت، تموز ١٩٤٨م / ١٣٦٧هـ، ج٧، مج ١٤، ص ٧، ص ٣١ .

هناك هناك على الرابيه	على مقلة الزمن الغافيه
على سندس من وشاح الهضيب	رمته على منكب زاهيه
على مقرب من حفافي الغدير	وفي مسمع من جوى الساقيه
يذوب الحنين بأحشائها	فترسل أناتها وانيه
هناك على ظل هفاهة	من الدوح عطاة حانيه
على نغم من نشيد الطيور	تردد الحانه لاهيه
هناك التقى شاعر مبدع	يذيب الحنين على القافيه

إنك تقف في هذه الأبيات على بعض الصور والألفاظ الموحية من مثل قوله :
 "مقلة الزمن الغافيه"، "وشاح الهضيب"، "جوى الساقيه"، "يذوب الحنين"، "حانيه"،
 "نشيد الطيور"، "يذيب الحنين"، وفي هذه الصور وذلك الإيحاء، وكذا في القافية
 المقيدة المسبوقة بصوت الياء يكمن الهمس الذي يغشى النص.

وفي قصيدة للفقى - رحمه الله - بعنوان "ولا كالأرزاء" يقول^(١):

كان همس الفؤاد في هذه المر	رة همساً مخضباً بالدماء
خفت من نرفه وقد نر في الجس	م، فلم يخفه صفيق الرداء
يا لنفسى مما استبد من الحز	ن بها، واستقر في الأحشاء
هو حزن كأنه لهب النأ	ر على زمرة من الأصفاء
مس منا الشغاف ثم توارى	كامناً خلفه كداء عيأ
ربعنا كله يئن من الرز	ء، ويطوي منه على البرحاء
ليس بيتاً ولا بيوتاً فما نح	ن سوى أمة سمت بالوفاء

(١) الأعمال الكاملة . شعر محمد حسن الفقى - جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع : مصر :
 طبعة دار المعارف، د . ت، ص ٤٣٩/٣، وما بعدها.

كَلْنَا وَاحِدٌ فَمَا سَرَّ أَرْضَانَا وَمَا سَاءَ عَمَلْنَا بِالْبَلَاءِ
مَا اكْتَرَثْنَا بِالرُّزْءِ، لَكِنَّ هَذَا الرُّزْءُ أَهْ أَنْكَى مِنْ سَائِرِ الْأَرْزَاءِ

لقد شاعت في قصيدة الفقي تلك الصور والألفاظ الموحية، من مثل قوله: (همس
الفؤاد، همساً مخضباً بالدماء، حزن كأنه لهب النار، مسّ منّا الشّغاف ثمّ توارى):
مما مكّن الشاعر من التعبير عن عمق معاناته وتجربته، تعبيراً واضحاً مؤثراً.

وهكذا وجدنا الشاعر السعودي في هذا المجال يقوم بوظيفته التي هي وظيفة
الأديب أيّ أديب، وهذه الوظيفة هي "أن يهيئ للألفاظ نظاماً ونسقاً وجواً يسمح لها
بأن تشعّ أكبر شحنتها من الصور والظلال والإيقاع، وأن تتناسق ظلالها وإيقاعاتها
مع الجو الشعوري الذي تريد أن ترسمه، وألا يقف بها عند الدلالة المعنوية الذهنية،
وألا يقيم اختياره للألفاظ على هذا الأساس وحده، وإن يكن لا بد منه في التعبير :
ليفهم الآخرون ما يريد، وأن يردّ إلى اللفظ تلك الحياة التي كانت له وهو يُطلق أول
مرة ليُصور حالة حياة، قبل أن يصير له معنى ذهنيّ مجرد، فوصول اللفظ إلى
الحالة التجريدية معناه أنه مات وأصبح رمزاً فحسب، والأديب الموهوب هو الذي
يردّ عليه حياته، فيجعله يشعّ صورة وظلا، ويرسم حالة ومشهداً"^(١).

ونحن على يقين بأنه متى تمّ ذلك فإن الألفاظ تعمل عملها السحري في
المتلقي؛ وذلك بنقل تجربة الشاعر الشعورية، وعاطفته الصادقة المسيطرة.

ثالثاً : الإيقاع الراقص :

نتبيّن جزءاً مهماً من ظاهرة الهمس في ذلك الوزن القصير، أو ذلك الوزن ذي
الإيقاع الهادئ المطمئن، وهذا لا يكاد يخلو منه ديوان شاعر من الشعراء على
اختلاف فيما بينهم في درجة هذا التباين أو الاختلاف.

(١) النقد الأدبي (أصوله ومناهجه) . سيد قطب - بيروت: دار الشروق ، د. ت، ص ٣٧.

ومن أشهر الشعراء المبرزين في ذلك الشاعر الأمير عبد الله الفيصل، وغازي القصيبي، وناصر أبو حيمد، وغيرهم.

ويتأزر الهمس مع الإيقاع في تلك النصوص الشعرية التي آثر مبدعوها البحور ذات الأوزان القصيرة، أو ذات الأوزان الطويلة، لكنها مجزوءة^(١)، أو مشطورة^(٢)، أو منهوكة^(٣)؛ وذلك لمناسبتها - في الغالب - للغناء والحداء والتطريب. ومن الشعراء الذين تغلب على أشعارهم هذه الصفة الأمير عبد الله الفيصل، وطاهر زمخشري، وغازي القصيبي، وناصر بو حيمد وغيرهم.

ومن شعر هؤلاء الذي يصلح للتمثيل على ظاهرة الهمس ويتجلى فيها الإيقاع الراقص قصيدة " الصمت الناطق " للأمير عبد الله الفيصل التي يقول فيها^(٤):

أحبك حتى كأنّ الهوى تجمعَ وارتاحَ في أضلعي
وأصبحتُ بعد الفراغِ امرأً صريعَ هوىٍ جامعٍ مَوْجَعِ
أحبك مهما يقلُّ عاذلي لأنّك نجّوي في مخدعي
تعيشُ ظلالُك في ناظري وصوتُك ينسابُ في مسمعي
كأنّك في أضلعي خفقةٌ تروحُ وتغدو وتحيّا معي

في هذا النص نجد الإيقاع الراقص يتجاوز جانب الوزن المتقارب إلى ما

(١) المجزوء : الذي ذهب منه جزءان أي تفعيلتان، من كل شطر تفعيلية. انظر: كتاب الكافي في العروض والقوافي، للخطيب التبريزي (ت : ٢٠٥هـ) :، تحقيق الحسّاني حسن عبد الله - ط ٣ - القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م : ١٤٣.

(٢) المشطور : الذي ذهب نصفه. انظر السابق : ١٤٥.

(٣) المنهوك : هو الذي ذهب ثلثاه. انظر السابق : ٧٩.

(٤) حديث قلب : ٧٩.

يتجلى في الأبيات من الموازنات في تشكيل المفردات (الهوى - أضلعي، تجمّع - وارتاح، هوى - جامع، عاذلي - مخدعي، ناظري - مسمعي)، كما نجده في التتوين الذي يظهر على أواخر بعض المفردات.

وكذلك يبدو الهمس من خلال الإيقاع الراقص في قصيدة الشاعر عبد الله الفيصل "سأم" التي يقول فيها^(١):

إليك عني فإني	سَمْتُ طُولَ التَّمَنِّي
وقد مللتُ وعوداً	تَمِدُّ بِالوَهْمِ أَذْنِي
كم سرتُ خلفَ الأمانِي	يقودني حُسْنُ ظَنِّي
شوقي إليك أمامي	وأنت تهربُ مِنِّي
وكلماً رُمْتُ وصلاً	يزدادُ منك التجنِّي
لا يستبيك وفائي	وشدو صوتي المُرْنُ
فطالَ وجدي وسُهدي	ودبَّ في العظم وهني
حتى تحطّم قلبي	وصبوتي والتأنِّي
وراح سقمُ عظامي	يحدثُ الناسَ عني
إنّي سأنسى غرامي	وشدو قلبي وفنِّي
فأذهب وخلّ طريقي	وانسَ الحُطَامَ ودعني
حطّمتُ بالبُعدِ صبري	وصفو عيشي وأمني
يا مَنْ حَسِبْتَ الأمانِي	تجمّعتُ فيكَ إنِّي
أملتُ فيكَ خُلوداً	لحَبِّي المطمئنُّ

(١) حديث قلب : ١٥١.

كما يبدو الهمس أيضاً في قصيدة "تعالى" للشاعر غازي القصيبي التي يقول فيها^(١):

أخافُ عليكِ ستأتي السنينُ وتُطْفِئُ بِسَمْتِكَ الْمُسْكِرَةَ
وتغرّبُ في ناظرِكَ الظلال وتُوحِشُ رُوحَكَ كالمقبرَةِ
أخافُ على الورْدِ في الوجنتين إذا هبَّت الرِّيحُ أن تنثُرَهُ
أخافُ على أمسياتِ الهوى تمرُّ مَرُوعَةً مُقْفِرَهُ
سيخمدُ شوقي العُصُوفُ إليك ويمضي هَواكِ ولن أذكُرَهُ
تعالى فإن سنين الجفافِ تُلَوِّحُ غاضِبَةً مُنذِرَهُ

في الأبيات السابقة لكل من الفيصل والقصيبي نجد استخدام الفعل المضارع لتحقيق التوازن الإيقاعي مما أسهم في تشكيل الإيقاع الراقص، وقبل ذلك نجد ذلك الإيقاع الراقص المنبعث من الوزن المختار لكل من القصيدتين ("المجتث" للأولى، و"المتقارب" للثانية)، إذ إن هذا الوزن يعطي الشاعر فرصة مدِّ النفس بالآهات، والتلهّف على اللذات التي استمتع بها برهة من الزمن ثم أوشكت على النفاد، أو تلك اللذات التي كان يمتني نفسه بها، فوجدها بعيدة عنه، عزيزاً عليه منالها.

ومن هذا النوع من الشعر كذلك قصيدة "أغنية حب إلى نجد" للشاعر ناصر بوحيمد التي يقول فيها^(٢):

ألا قِفْ بي يا حَادي
فثَمّةٌ بلبِلُ شادي
على أوطانِ أجدادي

* * *

(١) المجموعة الشعرية الكاملة (ديوان أشعار من جزائر اللؤلؤ) . شعر: د. غازي بن عبد الرحمن

القصيبي ٠ - ط ٠٢ - جدة : تهامة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ص ٢٨ .

(٢) قلق . شعر ناصر بوحيمد - دار الكاتب العربي، د. ت، ص ٥، ٦ .

شجى اللحن غريد
بربك ها هم الصيد

* * *

وتلك مسارح الأسد
مدارج أمة المجد

* * *

بربك قف على الوادي
حنيفة ملجأ الضاد
أيا للموكب الهادي

إلى أن قال^(١) :

وحن فؤادي الخافق
بدمع هامل دافق
إلى أغرودة الحادي
وهمس الورق في الوادي
ونجوى البلبل الشادي

ومن قصيدة أخرى للشاعر بوحيمد قوله^(٢) :

تَهْمِسُ بِي وَتُضْمِرُ قَائِلَةٌ : يَا أَسْمَرُ
إِنَّ خُطَاكَ فِي الطَّرِيدِ قِطَائِرُ رَيْنَةٍ
تَمُرُّ حَوْلَ بَابِنَا عَشِيَّةً وَتَنْظُرُ

(١) قلق : مصدر سابق : ١٠ .

(٢) السابق : ٥٦ .

وتُعد قصيدة "لآلي" لبوحيمد نموذجاً آخر للشعر المهموس الذي استمد أكثر خصيصة الهمس من وزنه القصير، وفيها يقول^(١) :

لآلي :

صبيّة من عالم الشمال
تعيش في خيال
تحلم بالخيّل والرّمال
وعالم يُزفّ في الليالي
أحلامه على صدَى مَوَالٍ

* * *

تُضيء في عُيونها
أسطورة حزينه
كأنّها عاصفة
تمرّ في سكينه
كأنّها بحيرة
تشقّها سفينه
تبحث عن شواطئ
وادعة أمينه

...

ومن القصائد ذات الإيقاع الراقص والموسيقى الهامسة أيضاً قصيدة حسن

(١) المصدر السابق : ١٢٣، ١٢٤.

القرشي "الأمس الضائع" التي يقول فيها^(١):

أفلتَ الأمسُ من يدي لم يهدده موعدي
وعفا حاضري فوا لهف نفسي على غدي
كنتُ أشتاقُ للدمى والمساء المعريد
فأمانني صبوة لحبيب مغرّد
وحياتي مشارق لصاح منضد
وإذا القلبُ يجتوي فجأة كل فرق
شاكهُ اليأسُ فانطوى رهن ماضٍ مُمدّد

ولا يخفى على الناظر فيما تقدم من شعر لبوحيمد وأيضا للقرشي الإيقاع الراقص المنبعث من أوزانها القصيرة، بالإضافة إلى ما يتوافر فيهما من عناصر الموسيقى الأخرى من تصوير، وبديع، وتكوين، وحروف مدّ، وغيرها.

ويعد الشاعر إبراهيم العواجي^(٢) أيضاً من الشعراء السعوديين الذين آثروا الأوزان القصيرة، والقوافي العذبة الطروية، وقصيدته "رعدة وجود" نموذج حيّ لذلك، وفيها يقول^(٣):

(١) ديوان حسن عبد الله القرشي : ٤٩٧/١ .

(٢) (١٣٥٨هـ - ...) . ولد في الرس بالقصيم، وتلقى تعليمه الأولي بها، ثم انتقل إلى الرياض وواصل تعليمه الثانوي، والجامعي بها وحصل على شهادة البكالوريوس في الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة الملك سعود، وواصل دراسته العليا في بعض الجامعات الأمريكية فتألّج في الماجستير والدكتوراه في الإدارة العامة . تقلّب في عدد من الوظائف الحكومية . كان منها عمله وكيلًا لوزارة الداخلية، وهو شاعر كاتب، له مشاركات أدبية كثيرة وله أشعار كثيرة منشورة. انظر : معجم الأدباء والكتاب : ٢٥٤، ٢٥٥ .

(٣) المداد: شعرد . إبراهيم بن محمد العواجي - ط ١ - جدة : دار تهامة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٣٦٥، ٣٦٦ .

بالأحمر القاني سَطَرْتُ أَلْحَانِي
تَخْتَالُ مِنْ طَرَبٍ أَوْتَارُ وَجْدَانِي
إِنْ تَبْسُمِي رَقَصَتْ أَنْغَامُ أَوْزَانِي
فَالسَّرُّ عَيْنَاكَ هَجَسِي وَأَشْجَانِي

* * *

الْقَلْبَ تَسْكُنُهُ عَيْنَاكَ وَالْأَمْلُ
وَالْعَيْنُ أَنْتَ لَهَا الْبُعْدُ وَالْأَزْلُ
وَالنَّبْضُ أَنْتَ لَهُ الدَّفْقُ وَالْأَجَلُ
وَالشَّعْرُ صِرَتْ لَهُ الْحَرْفُ وَالْغَزْلُ

رابعاً : السهولة واليسر :

ومن مظاهر الهمس في الشعر السعودي ما نلاحظه على ألفاظه من السهولة، وعدم التكلف الناتجين عن كونها ألفاظاً مأنوسة بعيدة عن الوحشية والغرابة ؛ إذ إن "من المقاييس الفنية للشعر الجيد أن يخلو ما أمكن من المعازلة والتكلف، وإرهاق السامع بما لا يفهم، يسمعه السامع فلا يصيبه رهق، ويقرؤه القارئ فلا تعثره مشقة، ففيه السهولة المنبئة عن مقدرة، واليسر الوافد من المهارة، والعفوية التي مصدرها الطبع والحدق"^(١). ومن ذلك قصيدة حسين عرب^(٢) "قال الصديق" التي يقول فيها^(٣):

(١) دراسات في الأدب السعودي : ٦٥.

(٢) (١٣٣٨هـ - ١٣٧٥هـ) . ولد في مكة المكرمة، وتلقى تعليمه الأولي في الكتاتيب، ثم درس في مدرسة الفلاح بمكة المكرمة، ثم عمل مدرساً في مدرسة الفلاح في جدة، كما عمل بعد ذلك في عدد من الوظائف الحكومية الأخرى، وهو شاعر كاتب له مجموعة شعرية كاملة منشورة. انظر : معجم الأدباء والكتاب : ١ / ٢٣٢.

(٣) المجموعة الكاملة : ٩ / ٢.

قال الصديقُ إلامَ يغمرُكَ التذمرُ والغضبُ ؟
هذي حياتك ليس يعرفُها السرورُ ولا الطربُ
فاقنعْ، فقد يأتي الزمانُ من الليالي بالعجبِ
والعيشُ للأفذاذِ معركةً تطايرُ باللهبِ
والنابغون حياتهم سجنٌ يروُّعُه الصخبُ
قلتُ: الحياةُ كما علمتُ أسَى وحربٌ من احتربُ
ودَّعتُ أشعاري، وحطمتُ اليراعَ وما كتبُ
وعزمتُ أن أغشى الخضمَّ، فلا كتاب ولا أدبُ

وللشاعر نفسه قصيدة أخرى تتسم بالهمس ومنها قوله^(١) :

يا نغمةً شفافةً بالوداد ونسمةً رفاقةً بالمُرادُ
يا فرحةً النشوة تطوي الأسى ونفحةً الزهرة تروي الفؤادُ
ما أسفرتُ إلا استنارَ الدُّجى وأسكرتُ إلا استطارَ الفؤادُ
رضيتُ منها من نصيبي بها بالويلِ والليلِ وطولِ السُّهادُ

وهكذا تقرأ هذه الأبيات فتجد فيها سهولة الألفاظ، وبساطة المعاني، ويسر
المآتي، وقرب التناول؛ مما وفّر في النص بعضاً من سمات الشعر المهموس إلى جانب
ما قام عليه أساساً من النغم الهادئ، والإيقاع الرتيب.
وليس ما ذكرته هو كل ما لدى الشاعر حسين عرب من شعر هامس، بل إنك
لتنصفح مجموعته الشعرية الكاملة فتجد نفسك أمام كمٍّ هائل من الشعر الذي
يصدق عليه الوصف بالمهموس.

(١) المجموعة الكاملة : ١٨٣/٢ .

ولعل ذلك راجع في جملة ما تميزت به شخصية الشاعر الفنية من الصراحة والوضوح، وحب الجمال، والرومانسية وخاصة في أشعاره الوجدانية. ولنتنقل إلى نموذج آخر تبرز فيه سهولة الألفاظ وانسيابها وسلاستها بروزاً واضحاً وهو قصيدة طاهر زمخشري "فداء" التي يقول فيها^(١):

هَـا هُنَا كَانَتْ الصَّبَابَاتُ تَلْهُو بَيْنَ قَلْبَيْنِ غَرْدَا كَالطِّيْـوَرِ
هَـا هُنَا كَانَتْ التَّرَاتِيلُ تَنْسَا بِكُرْجَعٍ لِمُعْزِفٍ مَكْسُورِ
الْهُوَى الْغُفَّ^(٢) مُلْهَمٌ، وَالضِّيَاءُ اذْ بِكُرْنَايْ مُغْرَدٌ بِالْحُبُورِ
وَالدَّجَى يَنْشُرُ الْمَبَاهِجَ سَتْرًا فَوْقَ نَجْمٍ مُّوَصَّوَصٍ^(٣) فِي سُرُورِ
وَتَعْدُ قَصِيدَةُ "كُنَا وَكَانَ" لِعَبْدِ اللَّهِ الْفَيْصَلِ الَّتِي مِنْهَا قَوْلُهُ^(٤):

لَيْتَنَا يَا حَبَّ نَحْيَا فِيهِ سَاعَهُ
نَوْقُظُ الزُّورِقَ أَوْ نُزْجِي شِرَاعَهُ
وَنُنَاجِي ضِفَّتِيهِ فِي ضِرَاعِهِ
تُسْعِدُ الْقَلْبَ وَلَا تُشْفِي التِّيَاعَهُ

خير مثال لتحرير العبارة من كل تكلف أو تصنع يذهب برونقها، ويجذب السَّامَ والرَّهَقَ للقارئ أو المستمع. وتلك سمة بارزة على شعر الرومانسيين حيث

(١) مجموعة النيل . شعر طاهر زمخشري - ٠ - ط ١ - جدة: تهامة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٦٠.

(٢) الْغُفَّ : أي القديم، أو البقية، يعني الهوى القديم، أو البقية القليلة منه.

(٣) موصوص : من الوُصُوص أو الوصووص، وهو خرق في الستر ونحوه على قدر العين، انظر اللسان (وصص)، والمراد هنا : أن الكون وقد غشيه الظلام يبدو فيه النجم كمن يبصر من خلال هذه الخروق التي تكون في الأستار.

(٤) وحي الحرمان . شعر عبد الله الفيصل - ٠ - جدة : دار الأصفهاني للطباعة، ١٤٠١هـ /

يطلقون - في الغالب - لشاعريتهم العنان لتجود على سجيتها بما يمكنها من غير إجهاد أو تعسف.

خامساً : العنونة بالهمس :

يلحظ الدارس اهتمام الشعراء في عصرنا الحديث بعنونة قصائدهم أكثر من ذي قبل ؛ وهذا هو ما جعل العنوان في هذا العصر " قاعدة أساسية من قواعد الإبداع الشعري، ليس في ديوان شعر الشاعر فحسب، لكن في القصيدة، بحيث يُعدّ العنوان الآن جزءاً عضوياً من أجزاء القصيدة الشعرية المعاصرة"(١).

ومن غير شك أن للعنوان أهمية في النص الأدبي ومنه القصيدة الشعرية التي أثّرت عنونتها تأثيراً بالغاً "في جذب انتباه المتلقي القارئ، والاستحواذ على موقع مرموق في واجهة الحياة الثقافية للمجتمع"(٢).

وقد أدت إلى الاهتمام بعنونة القصيدة عوامل وأسباب ذكرها(٣) الدكتور /

محمد عويس - رحمه الله - ومنها - بإيجاز - :

١ - الإفادة من تجارب الشعراء الغربيين عامة، وعنونة النص الشعري منها خاصة، وذلك بالاطلاع على نماذج متنوعة من دواوين الشعر الغربي المعرب ؛ حيث إن العنونة في هذا الشعر تعد أساساً في بنية القصيدة الغربية.

٢ - التحول الكبير في الذوق العام لدى المتلقين نتيجة ازدهار الطباعة وتطورها الهائل، وكذا انتشار الصحف في العالم العربي.

(١) العنوان في الأدب العربي : النشأة والتطور . د. محمد عويس - ط ١ - القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، ص ٢٧٨.

(٢) السابق : ٢٨٣.

(٣) انظر : السابق : ٢٧٨، فما بعدها.

فقد أدّى هذا الازدهار والتطور في مجال الطباعة والصحافة والنشر إلى أن يصبح الأساس في الذوق هو ذوق القارئ لا ذوق المستمعين، حيث وُجِدَت القصيدة المطبوعة التي تمكّن المتلقي من قراءتها قراءة همسية بينه وبين نفسه، وقد احتاج هذا النوع من الشعر إلى بعض عناصر التشويق والجذب، فكان العنوان أبرز هذه العناصر.

٣ - توفر الوحدة العضوية في كثير من القصائد في العصر الحديث، مما هيأ الفرصة للشاعر لاختيار العنوان المناسب لقصيدته، وهو ما لم يكن ممكناً للشاعر العربي فيما قبل العصر الحديث ؛ نظراً لتعدد موضوعات القصيدة، وتنوعها .
والوحدة العضوية للقصيدة - كما يعرفها غنيمي هلال - هي: "وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك في ترتيب الصّور والأفكار ترتيباً به تتقدم القصيدة شيئاً فشيئاً حتى تنتهي إلى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على أن تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها إلى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر، وتستلزم هذه الوحدة أن يفكر الشاعر تفكيراً طويلاً في منهج قصيدته، وفي الأثر الذي يريد أن يحدثه في سامعيه، وفي الأجزاء التي تدرج في إحداث هذا الأثر، بحيث تتمشى مع بنية القصيدة بوصفها وحدة حية ثم في الأفكار والصور التي يشتمل عليها كل جزء، بحيث تتحرك به القصيدة إلى الأمام لإحداث الأثر المقصود منها عن طريق التتابع المنطقي، وتسلسل الأحداث أو الأفكار، ووحدة الطابع، والوقوف على المنهج على هذا النحو - قبل البدء في النظم - يساعد على ابتكار الأفكار الجزئية والصور التي تساعد على توكيد الأثر المراد. ولا بد أن تكون الصلة بين أجزاء القصيدة مُحْكَمَةً، صادرة عن ناحية وحدة الموضوع ووحدة الفكرة فيه، ووحدة المشاعر التي

تتبعث فيه، أي أنها صلة تقضي بها طبيعة الموضوع ووحدة الأثر الناتج عنه^(١).
لهذه الأسباب أصبحت عنونة القصائد وكذا " عنونة الدواوين سمة من سمات
التطور في ديوان الشعر العربي"^(٢)، ولذلك صلته بالهمس كما سيتضح.
وكان طبعياً أن يكون للشعر السعودي نصيبه من هذه العناية وهذا الاهتمام
بالعنونة.

وتعود بدايات ذلك إلى جيل الرواد على اختلاف مذاهبهم، وتباين تجاربهم
الفنية في عنونة قصائدهم ودواوينهم. وتوالى الاهتمام بالعنونة بعد هذا الجيل
وازداد الاحتفال بها لتصبح من عناصر النص الأدبي المهمة الخاضعة لأحكام النقد
وآرائهم^(٣).

وقد كان لظاهرة "الهمس" حظ وافر من عناية الشعراء السعوديين، واحتفائهم
بإبداعهم الشعري في مجال عنونة قصائدهم ودواوينهم إلى جانب حظ هذه
الظاهرة من عناصر الفن وجمالياته.

ولاقتناع المبدعين بقيمة الهمس، ولاستحضارهم أثره في التوصيل العاطفي
بينهم وبين قارئهم أو مستمعيهم، ولتمثلهم إichاءات هذه الكلمة ودلالاتها، فقد
راحوا يُعننونون بعض قصائدهم بكلمة "الهمس" أو بكلمة أخرى من مشتقاتها.
وذلك كثير، كنحو ما نجد من تسمية أ. د. محمد بن سعد بن حسين إحدى

(١) النقد الأدبي الحديث لغنيمي هلال : ٣٧٣، ٣٧٤.

(٢) قراءة في ديوان الشعر السعودي . د. يوسف حسن نوفل - الرياض : النادي الأدبي ،
١٤٠١هـ، ص ١٩٥ . (يراجع الرشيد).

(٣) انظر : العنوان في الشعر السعودي بوصفه مظهراً إبداعياً . د. عبد الله بن سليم الرشيد،
فصلة من كتاب: عقدان من الإبداع الأدبي السعودي - ط ١ - بريدة: نادي القصيم الأدبي ،
١٤٢٣هـ، ص ٨٧، ٨٨.

قصائده بـ "لظى الهمس"^(١)، وتسمية محمد هاشم رشيد - رحمه الله - إحدى قصائده بـ "همسة الحب"^(٢)، وكذا تسمية د. منصور الحازمي إحدى قصائده بـ "إلى شاعرة تهمس"^(٣)، وتسمية حسن عبد الله القرشي إحدى قصائده بـ "همس"^(٤) وأخرى بـ "همستان"^(٥)، وتسمية د. محمد العيد الخطراوي إحدى قصائده "الحديث الهامس"^(٦) وتسمية عبد الله علي البركاتي إحدى قصائد ديوانه^(٧) بـ "همس الدموع"^(٨) كما عنون إحدى قصائده بـ "همس الجفون"^(٩) وأخرى بـ "همس الحروف"^(١٠)، وأخرى بـ "الهمسة الأخيرة"، وتسمية محمد الفهد العيسى إحدى قصائده بـ "همس المجذاف"^(١١)، وتسمية سعد البواردي إحدى قصائده بـ "همسة

- (١) أصداء وأنداء . شعر أ. د محمد بن سعد بن حسين - ط ١ - ٠٠ الرياض : مطابع الفرزدق التجارية ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ص ١٣٧ .
- (٢) نضجات الرياض . شعر محمد هاشم رشيد، د. ن - ٠٠ ط ١، مطبعة النرجس، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م، ص ١٨٤ .
- (٣) أشواق وحكايات، شعر د. منصور الحازمي - ط ١ - ٠٠ الرياض: دار العلوم للطباعة والنشر ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، ص ٩٥ .
- (٤) ديوان حسن القرشي : ١ / ١٥٧ .
- (٥) السابق : ١ / ١٩٢ .
- (٦) همسات في أذن الليل . شعر د. محمد العيد الخطراوي، نادي المدينة المنورة الأدبي - ٠٠ جدة : مطابع دار الأصفهاني، ١٣٩٧ هـ، ص ٦٦ .
- (٧) همس الدموع . شعر د. عبد الله بن علي الحسيني البركاتي، د. ن، د. ت، ص ٢٧ .
- (٨) السابق : ٣٧ .
- (٩) السابق : ٢٧ .
- (١٠) السابق : ١١٧ .
- (١١) الإبحار في ليل الشجن . شعر محمد الفهد العيسى - ط ١ - ٠٠ جدة : تهامة ، ١٤٠٠ هـ = ١٩٨٠ م، ص ١٠٦ .

وفاء^(١) وتسمية عبد الرحمن العشماوي إحدى قصائده بـ "همسات مشاعر"^(٢)، وأخرى بـ "صرخة في زمن الهمس"^(٣)، وتسمية الشاعرة مريم البغدادي إحدى قصائدها بـ "همس القوم"^(٤)، وتسمية علي أحمد النعمي إحدى قصائده بـ "همسة وفاء وتقدير"^(٥). وتسمية أحمد اللهيبي إحدى قصائده بـ "همسات قلبين"^(٦).

بل ربما عنونوا الديوان كله بهذه الكلمة، كنحو ما نجد من تسمية طاهر زمخشري أحد دواوينه بـ "همسات"، وتسمية منصور دماس ديوانه بـ "همسة مجد" وتسمية علي بن حسين الفيضي أحد دواوينه بـ "الهمس الخافت"، وتسمية الدكتور / محمد عيد الخطراوي أحد دواوينه بـ "همسات في أذن الليل"، وتسمية عبد الله علي البركاتي ديوانه بـ "همس الدموع".

وهذا النوع من العنونات هو ما أسماه الدكتور / عبد الله بن سليم الرشيد (العنوان / الصورة) وعنده "أنه أرقى أنواع العنوان ؛ لصلته الوثقى بلغة الشعر، وقد احتفى به الشعراء العرب المعاصرون، وسائرهم السعوديون، وخاصة الأجيال المتأخرة منهم في العقدين الأخيرين..."^(٧).

(١) حلم طفولي . شعر سعد البواردي . عبد المقصود خوجة - ط ١ - جدة ، ١٤٢٠ هـ = ١٩٩٩ م، ص ١٩٩.

(٢) إلى أمتي . شعر د. عبد الرحمن بن صالح العشماوي - ط ٢ - الرياض : مطابع النهضة الحديثة، ١٤٠٠ هـ، ص ٣٢.

(٣) شموخ في زمن الانكسار . شعر د. عبد الرحمن بن صالح العشماوي - ط ١ - الرياض : مكتبة الأديب للنشر والتوزيع، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ص ١٧٧.

(٤) عواطف إنسانية . د. مريم البغدادي، د. ن - ط ١، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م، ص ٦١.

(٥) الأرض والعشق . شعر علي بن أحمد النعمي - الرياض : دار الفيصل الثقافية، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ص ٨٢.

(٦) قصيدة حصلت عليها من الشاعر، ولم تُنشر بعد.

(٧) العنوان في الشعر السعودي بوصفه مظهراً إبداعياً : ١٠٤.

وفي هذا العنوان دلالة فنية على مدى ما حصل للشعر الحديث من تجديد "فالقصيد قد أصبحت في عرف الشعراء المحدثين - أيا كانوا - وحدة واحدة، تعبر عن تجربة نفسية خاصة، يمكن تسميتها، ويمكن لقارئها أن يلمس مدلول هذه التسمية في ثانيا أبيات القصيدة من خلال معانيها وأفكارها"^(١).

إن هذه النماذج الكثيرة المتكررة فيما بين أيدينا من شعر تبرز مظهراً من مظاهر الهمس فيه، وهو وإن لم يكن مظهراً جوهرياً ومهماً إلا أنه يمثل في عمومته لوناً شكلياً للهمس في الشعر الذي تتناوله هذه الدراسة، مع ما تغلعه هذه العنوان من تهيئة للنفوس لاستقبال النص الشعري الهامس.

ويمكن أن ألحق بالعنوان بكلمة "الهمس" أو بأحد مشتقاتها، استعمال هذه الكلمة داخل النص الشعري مما يؤكد جنوح الشاعر - في الغالب - لهذا الصوت الهامس^(٢).

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة ظاهرة من أبرز الظواهر الفنية المهمة في الشعر السعودي المعاصر وهي ظاهرة "الهمس".

وقد ركزت الدراسة على شيوع هذه الظاهرة، إذ لم يكن في وجودها في الشعر العربي ومنه الشعر السعودي أدنى شك.

وهنا تحدثت بالتفصيل والتمثيل عن أبرز الأسباب والعوامل التي أدت إلى

شيوع "الهمس" في جزء كبير من إبداع الشعراء السعوديين، وتتمثل في :
أولاً : أسباب داخلية هي : الشعر المهجري، والنزعة الرومانسية، والرمزية.

(١) عبد الله بن إدريس شاعراً وناقداً : ٢٥٩ .

(٢) انظر : النزعة الإسلامية في الشعر السعودي المعاصر : ٤٢٩ .

ثانيا : أسباب خارجية هي : طبيعة الحياة الناعمة الهادئة، والإحساس بالغربة والألم، و الخوف من المواجهة، والحزن، وذلك حسبما أرشدتني إليه النصوص الشعرية الهامسة .

كما ركّزت الدراسة على أهم مظاهر هذه الظاهرة والتي منها : التلاؤم بين الفكرة والموسيقى ، والاعتماد على الإيحاء، والإيقاع الراقص، والسهولة واليسر، والعنونة بالهمس.

وقد هدتني هذه الدراسة إلى بعض النتائج ومنها :

أولا : أهمية الهمس في الإبداع الشعري السعودي، وقيّمته التعبيرية والمضمونية وأبعاده الدلالية والإيقاعية فيه.

ثانيا : تواصل الشعراء السعوديين مع الثقافات والآداب العالمية الأخرى، وتجاوبهم الإيجابي مع كل نافع ومفيد للأدب وللقارئ.

ثالثا : تواصل الشعراء السعوديين مع إخوانهم الشعراء العرب في أوطانهم ومهاجرهم، والإفادة من إبداعاتهم الأدبية.

أما أهم التوصيات التي أراها فتمثل في دعوة الإخوة الدارسين والباحثين إلى إجراء دراسة دقيقة وعميقة لقيمتي الهمس والجهر في الأدب السعودي في ضوء نظريات النقد الحديث : لإبرازهما، وتبيين ما يكمن فيهما من أسرار الإبداع من وضوح، وتأثير، وإمتاع.

والله أسأل أن يوفق الجميع إلى ما يحبه ويرضاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثبت المصادر والمراجع

- إبحار بلا ماء . شعر عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس - ط ١ - ٠ - الرياض : دار
إشبيليا ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- الإبحار في ليل الشجن . شعر محمد الفهد العيسى - ط ١ - ٠ - جدة - المملكة
العربية السعودية : تهامة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- الاتجاه الابتداعي في الشعر السعودي الحديث إلى بداية التسعينيات الهجرية .
محمد بن حمد حبيبي - ط ١ - ٠ - الرياض : المهرجان الوطني للتراث والثقافة ،
١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- الإثنيونية ، المجلد الأول - ط ١ - ٠ - جدة : عبد المقصود خوجة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .
- الأدب الإسلامي قضية وبناء ، تأليف أ . د . سعد أبو الرضا - ط ١ - ٠ - جدة :
عالم المعرفة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- الأدب (أنواع ومذاهب) . د . فايز ترحيبي - ط ١ - ٠ - بيروت : دار النخيل
للطباعة ، ١٩٩٩م الينبوع ، أحمد زكي أبو شادي - ط ١ ، ١٩٣٤م .
- الأدب الحديث (تاريخ ودراسات) . د . محمد بن سعد بن حسين ، د . ن - ط ١ ،
١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .
- الأرض والعشق . شعر علي بن أحمد النعمي - ط ١ - ٠ - الرياض : دار الفيصل الثقافية ،
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- أشواق وحكايات . شعر د . منصور الحازمي - ط ١ - ٠ - الرياض : دار العلوم
للطباعة والنشر ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- أصداء . شعر أحمد قنديل - لبنان : مطابع نصار ، ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م .

- أصدقاء وأنداء . شعر أ . د محمد بن سعد بن حسين - ط ١ - الرياض : مطابع الفرزدق التجارية ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- الأعمال الكاملة . شعر محمد حسن الفقي - جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ؛ مصر : طبعة دار المعارف ، د . ت .
- أغاريد من الخليج . شعر عبد الرحمن بن عثمان الملا - ط ١ - الخبر - المملكة العربية السعودية : الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- أغنية العودة . شعر سعد البواردي - دار الإشعاع ، مطابع الرياض ، د . ت .
- إلى أمتي . شعرد . عبد الرحمن بن صالح العشماوي - ط ٢ - الرياض : مطابع النهضة الحديثة ، ١٤٠٠ هـ .
- البحر والمرأة العاصفة . شعر عبد الله بن صالح الوشمي - ط ١ - بريدة : نادي القصيم الأدبي ببريدة ، ١٤٢٣ / ٢٠٠٢ م .
- البيان والتبيين للجاحظ : تحقيق عبدالسلام محمد هارون - ط ٥ - القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- التجربة الإبداعية في ضوء النقد الحديث . د . صابر عبد الدايم - ط ١ - القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- تطور الشعر العربي الحديث بمنطقة الخليج . د . ماهر حسن فهمي - ط ١ - بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- التكریم في الشعر السعودي المعاصر . د . عبد الرحمن بن عثمان الهليل ، نشر المؤلف - ط ١ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .
- التمثيل الصوتي للمعاني : دراسة نظرية وتطبيقية في الشعر الجاهلي . د . حسني عبد الجليل يوسف - ط ١ - القاهرة : الدار الثقافية للنشر ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .

- التيارات الأدبية في قلب الجزيرة العربية. عبد الله عبد الجبار، معهد الدراسات العربية العالية - جامعة الدول العربية، ١٩٥٩ م .
- التيارات الفنية في الشعر السعودي الحديث . د. طلعت صبح السيد - ط ١ - ٠٠
- الرياض : دار عبد العزيز آل حسين للنشر والتوزيع ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- جريدة الجزيرة ، العدد : ١١٢٢٧ ، الأربعاء : ٢٥ / ٤ / ١٤٢٤ هـ ، ٢٥ يونيو ، ٢٠٠٣ م .
- حديث قلب . شعر عبد الله الفيصل بن عبد العزيز آل سعود - جدة : دار الأصفهاني ، د . ت .
- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية . بكري شيخ أمين - ط ٤ - ٠٠
- بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٥ م .
- حلم طفولي . شعر سعد البواردي - جدة : عبد المقصود خوجة ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- حوار فوق شراع الزمن . شعرد . عبد الرحمن بن صالح العشماوي - ط ١ - ٠٠
- الرياض : مكتبة الأديب ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- حول الشعر المهموس . عبد القادر القط ، مجلة الثقافة ، العدد : ١٩٤ ، السنة الرابعة ، ١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م .
- دائرة الإبداع . شكري محمد عياد - القاهرة : دار إلياس العصريّة ، د.ت .
- دراسات في الأدب السعودي . د . عباس بيومي عجلان ، ود . عبد الله سرور - الإسكندرية - مصر : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٩ م .
- دليل الكاتب السعودي . الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون - ط ١ - ٠٠
- الرياض ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- ديوان حسن عبد الله القرشي - ط ٢ - ٠٠ بيروت : دار العودة ، ١٩٧٩ م .

- ديوان شعاع الأمل . شعر صالح أحمد العثيمين - القاهرة : دار الطباعة الحديثة، ١٩٥٨ م .
- الرمز في الشعر السعودي . د . مسعد بن عيد العطوي - ط ١ - الرياض : مكتبة التوبة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م .
- الشاعر حمد الحجّي . تأليف : د . محمد بن سعد بن حسين - ط ١ - الرياض : مطابع الفرزدق التجارية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧ م .
- الشعر الحديث في الحجاز . عبد الرحيم أبو بكر - الرياض : دار المريخ ، د.ت .
- الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥هـ - ١٣٩٥هـ) . د . عبد الله الحامد - ط ١ - الرياض : دار الكتاب السعودي - الرياض - ط ٢ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣ م .
- الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث، مصطفى عبد اللطيف السحرتي - ط ١ - جدة : تهامة ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤ م .
- النقد والبلاغة . د . مهدي علام وآخرين - مصر : الأميريّة ، ١٩٧٥ م .
- شعراء من القصيم . عبد الرحمن بن عوض الحربي - ط ١ - جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م .
- شعراء نجد المعاصرون : دراسة ومختارات ، تأليف : عبد الله بن إدريس - ط ١ - الرياض : النادي الأدبي في الرياض ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م .
- شمعة على الدرب . د . عارف قياصة - جدة : نادي جدة الأدبي - مطابع دار البلاد ، ١٤٠١هـ .
- شموخ في زمن الانكسار . شعر د . عبد الرحمن بن صالح العشماوي - ط ١ - الرياض : مكتبة الأديب للنشر والتوزيع ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م .

- شميم العرار . شعر غادة الصحراء - ط ١ - ٠ بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م .
- صراع مع النفس . شعر د . عبد الرحمن بن صالح العشماوي - ط ٣ - ٠ الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- عبد الله بن إدريس (شاعراً وناقداً) . د . محمد الصادق عفيفي - ط ١ - ٠ المدينة المنورة : نادي المدينة المنورة الأدبي ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- عبير الذكريات . شعر طاهر زمخشري - ط ١ - ٠ الرياض : تهامة ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .
- عذاب السنين . شعر حمد بن سعد الحجي - ط ١ - ٠ الرياض : دار الوطن ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ؛ تصحيح أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري - القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٥هـ .
- عندما يعزف الرصاص ، شعر د . عبد الرحمن بن صالح العشماوي - ط ١ - ٠ الرياض : مكتبة الأديب ، ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م .
- العنوان في الأدب العربي : النشأة والتطور . د . محمد عويس - ط ١ - ٠ القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- العنوان في الشعر السعودي بوصفه مظهراً إبداعياً . د . عبد الله بن سليم الرشيد ، فصلة من كتاب : عقدان من الإبداع الأدبي السعودي - ط ١ - ٠ بريدة - المملكة العربية السعودية : نادي القصيم الأدبي بريدة ، ١٤٢٣هـ .
- عواطف إنسانية . د . مريم البغدادى ، د . ن - ط ١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م
- عودة الغائب . شعر عبد الله بن صالح العثيمين - الرياض : دار العلوم للطباعة والنشر ، د . ت .

- فن الشعر . د . إحسان عباس - ط ٢ - بيروت : دار الثقافة ، ١٩٥٩ م .
- في زورقي . شعر عبد الله بن إدريس - الرياض : دار عالم الكتب ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية . د . عبد الله الحامد - ط ١ - الرياض : دار الكتاب السعودي ، ١٤٠٢ هـ .
- في النقد الأدبي الحديث . د . محمد صالح الشنطي - ط ١ - حائل - المملكة العربية السعودية : دار الأندلس للنشر والتوزيع ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م .
- قراءة في ديوان الشعر السعودي . د . يوسف حسن نوفل - الرياض : النادي الأدبي ، ١٤٠١ هـ .
- قلق . شعر ناصر بوحميد ، دار الكاتب العربي ، د . ت .
- كتاب الكافي في العروض والقوافي للخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ) : تحقيق الحسّاني حسن عبد الله - ط ٢ - القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .
- لغة الشعر العراقي المعاصر . عمران خضير الكبيسي - ط ١ - الكويت : وكالة المطبوعات ، ١٩٨٢ م .
- مجلة الأديب - بيروت ، تموز ١٩٤٨ م / ١٣٦٧ هـ ، الجزء / السابع ، المجلد / ٤١ السنة السابعة .
- المجموعة الشعرية الكاملة : ديوان أشعار من جزائر اللؤلؤ . شعر: د . غازي بن عبد الرحمن القصيبي - ط ٢ - جدة : تهامة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م .
- المجموعة الكاملة . شعر حسين عرب - مكة المكرمة : شركة مكة للطباعة والنشر ، ١ / ٢٤ .

- مِمْمُوعَةُ النِّيل . شَعْر طَاهِر زَمْخْشَرِي ٠- ط١- جِدة: تَهَامَة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- المِداد . شَعْر د . إِبْرَاهِيم بِن مُحَمَّد الْعَوَاجِي ٠- ط١- جِدة : دار تَهَامَة ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- مِدارِس الشَّعْرِ الحَدِيث . د . مُحَمَّد عِبد المَنعم خَفَاجِي، طَبِعة مَطْبِعة وَهَبَة حِسان ٠- القَاهِرَة : مَكْتَبَة الإنْجِلُو المِصْرِيَة .
- مَعْجَم البَابِطِينَ لِلشَّعْرَاءِ الْعَرَبِ الْمَعَاوَرِينَ ٠- ط١- الكُويْت : مَوْسِسة جَائِزة عِبد العَزِيز سَعُود البَابِطِينَ لِلإِبْدَاع الشَّعْرِي ، ١٩٩٥م .
- النِّزْعَة الإِسْلامِيَة فِي الشَّعْرِ السَّعُودِيِّ الْمَعَاوَرِ . د . حِسن بِن فَهْد الهُوَيْمِل ٠- ط١- الرِّياض : المَهْرَجَان الوَطْني لِلتِّراث وَالثَّقَافَة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- نَظْريَة الأَدب . رَيْنِيَة وَبِلِيك، وَأوسْتَن وَارِين ؛ تَرْجَمَة مَحْيَى الدِّين صَبْحي؛ مِراجِعة د . حِسام الخَطِيب ٠- ط٢- بِيروْت: المَوْسِسة الْعَرَبِيَة لِلدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ١٩٨٥م.
- نَفْحات الرِّياض . شَعْر مُحَمَّد هَاشِم رَشِيد ، د . ن ٠- ط١ ، مَطْبِعة النُّرْجِس ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .
- النِّقْد الأَدْبِي : أَصُولُهُ وَمِناهِجُهُ . سِيد قُطْب ٠- بِيروْت : دار الشُّرُوق ، د.ت.
- النِّقْد الأَدْبِي الحَدِيث . د . مُحَمَّد غَنِيْمِي هَلَال ٠- القَاهِرَة : دار نَهْضَة مِصر لِلطَّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع ، ١٩٩٦م.
- هَمِسات فِي أذن اللَّيل . شَعْر: د. مُحَمَّد العِيْد الخَطْراوِي ، نَادي المِدينَة المَنُورَة الأَدْبِي ٠- جِدة : مَطابِع دار الأَصْفَهانِي ، ١٣٩٧هـ.
- هَمِس الدَّمُوع . شَعْر: د. عِبد اللّٰه بِن عَلِي الحِسينِي البَرَكاتِي، د. ن ، د.ت.
- وَحي الحَرَمَان . شَعْر عِبد اللّٰه الفِيصِل ٠- جِدة : دار الأَصْفَهانِي لِلطَّبَاعَة ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .